الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب واللغات

المجلس العلمي

الرقم.....123...../ أ م ع /.....2023.....

(مستخرج) من محضر المجلس العلمي للكلية

سند تربوي للأستاذة: د/ شيادي نصيرة

manuel pédagogique

بالجلسة المنعقدة بتاريخ: **19 جانفي 2023**

وافق المجلس العلمي للكلية على السند التربوي (manuel pédagogique)

المعنون بـــــ : **intitulé :**

مصادر اللغة و النقد و الأدب

المعد من قبل: د/ شيادي نصيرة

قسم: اللغة و الأدب العربي

تلمسان في: 23 جانفي 2023

المجلس العلمي

أ.د/ والي دادة عبد الكريم

رئيس المجلس العلمي

سلمت هذه الشهادة للمعني(ة) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministèrede EnseignementSupérieur
et dela RecherceScientifique

جامعة أبي بكر بلقايد

Université AbouBekrBelkaid

. تلمسان .

. Tlemcen .

كلية الآداب واللغات

Facultédeslettreset deslangues

قسم اللغة والأدب العربي

Département delangueetlittératurearabes

المطبوعة البيداغوجية لمقياس : مصادر اللغة والنقد والأدب

مستوى: السنة الأولى - جذع مشترك -

السداسي الثاني (ليسانس.ل. م. د)

إعداد الدكتورة : نصيرة شيادي

الرتبة: أستاذة محاضرة صنف (أ)

أ.د/ والي داد
رئيس المجلس العلمي

السنة الجامعية: 2022م - 2023م

كلية الآداب و اللغات
رئيس المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

فهرس المحاضرات

رقم المحاضرة	عنوان المحاضرة	رقم الصفحة
1	المصدر والمرجع	2
2	بيبليوغرافيا المصنفات اللغوية والأدبية والنقدية قديما وحديثا	9
3	معجم العين للخليل بن أحمد	20
4	الخصائص لابن جني	26
5	مقاييس اللغة لابن فارس	30
6	لسان العرب لابن منظور	36
7	المجامع الشعرية القديمة	41
8	المجامع الأدبية القديمة	48
9	المجامع النقدية القديمة	61
10	المدونات الحديثة والمعاصرة	88
11	مصنفات ابن أبي شنب في اللغة والأدب والنقد	104
12	مصنفات في تاريخ الأدب العربي	110
13	مصنفات في النقد المغاربي المعاصر	122
14	مدونات الأدب المقارن . غنيمي هلال .	130

كلية الآداب و اللغات
رئيس المجلس العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة رقم (01): المصدر والمرجع

تمهيد:

يحتاج الباحث في مسيرته البحثية جملة من المصادر والمراجع ليُغني بحثه بأفكار ومعارف تثري ما يقدمه. وامتلاك الباحث جملة من المصادر والمراجع تُحتّمُ عليه معرفة كيفية استعماله لها ولكن ما يشدّ الانتباه في أحايين كثيرة أنّ بعض الطلبة لا يفرق البتة بين المصدر والمرجع، ولا يدرك حتى الفرق بينهما ولذلك خُصّصت المحاضرة الأولى للتفرقة بين النوعين.

1 . المدلول اللغوي والاصطلاحي للمرجع والمصدر

كلمة (المرجع) هي صيغة اسم مكان ويقصد بها كما جاء في المعاجم العربية (المكان) أو الموقع الذي يرجع إليه شخص من الأشخاص أو الذي يُصرف إليه شيء من الأشياء أو يُردُّ إليه أمر من الأمور.

أما كلمة (مصدر) فهي المكان الذي يرجع إليه لأعلى شيء وأوله، وإذا قارنا بين التعريفين نجد أنّ الثاني أي (المصدر) مساوٍ للأول ويزيد عليه في أنّ الرجوع فيه مرتبط بالأشياء الأساسية أو الأولية.[1]

وثمّة وجه آخر لزيادة التوضيح حول هذه المسألة المهمة فيما نحن بصدد الإقبال عليه، فنقول: يلزم القارئ أو الباحث من حين لآخر، وهو في غمرة قراءته أو بحثه، الحصول على معلومات مركزة ومنسقة بصورة سريعة توفيرا للوقت وتسهيلا للتتبع. فهو مثلا قد يبحث عن تحديد معنى كلمة ما أثناء مطالعته فيستعين بمعجم لغوي أو قد يحاول ضبط اسم علم أو تعيين تاريخ أو معرفة سيرة أديب فيستشير معجما للأعلام، أو أنه يحتاج إلى تحديد موقع أو مكان فيلجأ إلى أطلس.

إنّ هذه الفئة من المؤلفات التي رتبت ونُسّقت المعلومات فيها بشكل لا يسمح بقراءتها قراءة متصلة من أولها إلى آخرها بل يرجع إليها أو تستشار عند الحاجة إلى نقطة معينة من المعرفة وتستعمل من وقت لآخر للاطلاع المؤقت، تسمى في مصطلح الدراسات الحديثة كتب (**مراجع**) أما غيرها من المصنفات التي تحتويها المكتبة فهي كتب وُضعت في الأصل لتقرأ كلها بصورة متتابعة للفائدة أو الدراسة أو المتعة ووجودها يعتمد على كيان فكري متكامل لا يمكن فصل جزء من أجزائه وإلا اختلّ تتابع الموضوع فيه.

ولكي يتضح لنا الفرق بصورة جلية بين الكتب المرجعية والكتب غير المرجعية نقول إنّ المعاجم اللغوية تُعدُّ من الصنف الأول لأنّ الكلمات فيها مرتبة حسب حروف المعجم عادة وبهذا يسهل الرجوع إلى كل كلمة عند الحاجة إلى معرفة معناها أو اشتقاقها أو نطقها أو استعمالها.

---

[1] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: حامد صادق قنيبي ومحمد عريف الحرباوي، دار ابن الجوزي، الأردن، عمان، ط1، 1425هـ 2005م، ص 20

ولكن تظلّ كل مادة (جذر/ أصل/ كلمة/ مدخل) من مواد المعجم (مداخل) تُشكل وحدة مستقلة تؤدي وظيفتها في شبه استقلال عن أخواتها. فلو فرضنا أنّ كلمة سقطت من المعجم أو كل الكلمات التي تبدأ بحرف (الجيم) مثلا لما أثر ذلك على باقي الكلمات أو الحروف في المعجم. وهذه الطبيعة في هذا المرجع هي التي جعلته لا يقرأ من أوله لآخره في ترابط تتابعي.[1]

وكمثال للكتب غير المرجعية نأخذ القصص أو كتب التاريخ؛ فهذان النوعان من المؤلفات تعرض المعلومات بطريقة متكاملة حيث تترابط جملة فقراتها في فصول تشكل وحدة موضوعية، ووضعت في الأصل لقراءتها من أولها إلى آخرها فإذا سقط أي جزء منها تتأثر بقية أجزاء القصة أو فصول كتاب التاريخ ويصعب على القارئ استيعاب موضوع الكتاب بشكل تام.

ومما سبق يمكن تحديد خصائص الكتاب المرجعي بما يلي:[2]

. الكتاب المرجعي وضع ليُستشار من أجل معلومة من المعلومات.

. لا تسمح طبيعة تكوينه بأن يقرأ بأكمله قراءة مفصلة من أوله إلى آخره.

. إنّ المداخل في الكتاب المرجعي منظمة بترتيب معين عادة ما يكون هو الترتيب الهجائي الألفبائي لتيسير البحث عنها.

واستخدمت كلمتا (**مراجع ومصادر**) في أكثر من مجال كمصطلحين متميزين لهما دلالتهما الخاصة، واتخذتا معنيين مختلفين في الدراسات التاريخية ودراسات تاريخ الأدب والدراسات الأكاديمية؛ فالباحثون في هذه الدراسات يميزون بين المراجع والمصادر على أساس المباشرة والوساطة في تقديم المعلومات المتصلة بالموضوع؛ فالمصادر في نظرهم هي تلك المؤلفات أو النصوص التي وصلتنا من العصر الذي نريد دراسة أحواله، أو المؤلفات التي تكون مادة البحث. أما المراجع فهي تلك المؤلفات الثانوية أو المساعدة التي يلجأ إليها استكمالا للمعلومات حول موضوع البحث، أو للحصول على معلومات إضافية لأغراض المقارنة والربط والتحليل والتفسير. **فالباحث في شعر المتنبي مثلا يجعل ديوان الشاعر وكتب من ترجم له وبحث في شعره من معاصريه أو القريبين من عصره (مصادر) أما (المراجع) فإنها ما عدا ذلك مما يفيد في دراسة الشاعر وشعره مثل كتب النقد وكتب الأدب الأخرى والمقالات والدراسات الحديثة.**[3]

---

[1] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: ص 21

[2] ـ نفسه: ص 22

[3] ـ نفسه: ص 22

وفي مجال الدراسات الأكاديمية نجد أنّ (المصادر) يُقصد بها الكتب والمؤلفات التي تكون مادة البحث (المراجع) فإنها تعني الكتب والبحوث وغيرها مما يكون قد كُتب حول موضوع البحث.

وفي باب الترجمة بالتقابل؛ فإنّ المراجع (Reference Books)بالإنجليزية وهي عندهم: المصنفات الشاملة التي نسقت وكُثفت فيها المعلومات، ورُتبت موادها ترتيبا معينا بمُجملها. وبالعادة لا تقرأ من أولها إلى آخرها لأنها كيانات فكرية غير مترابطة، ولكنها تصلح ليرجع إليها الباحث أو القارئ بشأن معلومة أو معلومات معينة بسهولة ويسر.

أما (المصادر) فإنها (Reference Sources)وهي جميع الكتب وأوعية المعلومات لمكتبة موضوع البحث سواء أكانت تحمل صفة المراجع، أو المقابلات، أو نتائج الدراسات الميدانية.[1]

2 . أهم النقاط التي في وسع القارئ أن يسترشد بها عند اختيار المرجع المناسب

أ . المؤلِّف أو الجامع للكتاب: هل هو من الثقاة المختصين بالموضوع الذي يعالجه، بمهنته وخبرته ومكانته العلمية، فمن حقنا مثلا أن لا نطمئن إلى كتاب في الطب مؤلّفه لا يحمل شهادة في موضوعه.

ب . الناشر: مكانته، تخصصه، شهرته، وسمعته اعتمادا على الكتب التي نشرها.

ج . طبعة الكتاب وتاريخها: هل هي جديدة فيها زيادة وتنقيح أو مجرد إعادة طبع، مدى حداثتها بالنسبة لما يتضمن المرجع من معلومات.

د . المجال الفكري: مدى معالجة الموضوع الذي يُغطيه الكتاب؛ هل هو شامل أو جزئي؟ وهل وضع في المستوى الذي قصد إليه كما هو منصوص عليه في المقدمة؟

هـ . أسلوب المعالجة: الطريقة التي عولجت بها مادة الكتاب هل هي بسيطة أو معقدة، والأسلوب هل هو عام متخصص مطول أو مختصر؟ واضح أو يصعب فهمه، وهل عُرضت الحقائق فيه صورة دقيقة دون تحيز في الرأي أو ميل عن الصواب أو انحياز ومحاباة؟

و . طريقة التنظيم: ما هو أسلوب ترتيب مواد الكتاب أو وحداته؟ هجائيا، موضوعيا، جغرافيا، تاريخيا، رقميا؟ وهل هذا الترتيب والتنظيم يُتيح الرجوع السريع والسهل للمواد؟ وهل هو مزود بكشافات إضافية أو إحالات كافية؟

ز . المصادر والمراجع: هل يقدم المرجع قوائم بالمصادر والمراجع توثيقا للمعلومات أو لزيادة الاطلاع؟

ح . الجوانب الشكلية:

. هل حروف الطباعة واضحة مقروءة؟ هل هي متنوعة الأشكال على مقتضى أهمية الكلام؟

---

[1] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: ص 22 - 23

. هل الكتاب من ناحية مظهره العام وحجمه واتساع هوامشه في شكل مُرضٍ؟

. وضوح الرسوم والصور والخرائط فيه وتكوينها.

. توظيف علامات الترقيم بين الجمل والعبارات والفقرات لتوضيح النص وتتابعه.

. أما بالنسبة إلى كتب التراث العربي فينبغي أن يلاحظ أنها تتبع النهج العلمي الدقيق في نشرها كجمع مخطوطات الكتاب ومقابلتها مع بعضها وتقديم نص صحيح منها، ثم ضبط الأعلام وتفسير الألفاظ الغامضة وتزويدها بالكشافات (الفهارس) الهجائية الدقيقة إلى جانب ما أوردنا من ميزات أخرى.[1]

3 . كيفية استعمال كتب المراجع

طالما أنّ كتب المراجع موضوعة ليرجع إليها بين الحين والآخر للكشف عن معلومات معينة، على الدارس والباحث على السواء أن يتعرفا عليها وعلى نماذج منها أولا ثم يكتسبا المهارة في استخدامها، وإخراج المعلومات المطلوبة منها بسرعة وفاعلية ثانيا. وهذا لا يتأتّى إلاّ بالاستعمال المستمر لها ومعرفة خصائصها والاطلاع على مميزاتها وطرق استعمالها بصورة مباشرة، فردية أو بمعونة (قوائم الكتب) للمراجع العربية، ومن الأمور التي يجدر بنا ملاحظتها عن كل مرجع ما يلي:[2]

أ . فحص صفحة العنوان: وهي الصفحة التي تتصدر الكتاب عادة وفيها نجد العنوان الكامل والعنوان الفرعي.

1 . مدى ومجال المرجع كما يبين من العنوان.

2 . اسم المؤلف أو المؤلفين، اسم محقق الكتاب أو المترجم ومعلومات عن وظائفهم ومراكزهم العلمية وفي بعض الحالات نجد اسم الشخص الذي أشرف على إعداد أو جمع مواد الكتاب أو الشخص الذي قدّم الكتاب.

3 . الناشر وعنوانه واسم المطبعة ومكانها.

4 . رقم الطبعة وتاريخ النشر.

ب . استعراض صفحة المحتويات: وفيها تدرج عناوين الفصول أو الأبواب التي يتضمنها المرجع بحسب ورودها ويشير إلى الأرقام التي وردت فيه لسهولة الاستدلال عليها.

ج . يستحسن قراءة مقدمة الكتاب للتعرف على:

. الخطة العامة والغاية من التأليف.

. تحديد مدى السعة أو مجال الكتاب.

---

[1] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: ص 25 - 27

[2] ـ نفسه: ص 27 - 28

. معرفة بعض الخصائص المميزة في الكتاب.

.كيفية ترتيب المواد والوحدات في الكتاب.

.كيفية استخدام المرجع واستخراج المعلومات منه، والتعرف على الاختصارات والرموز المستخدمة.

د . فحص المرجع وتصفحه من أجل معرفة:(ترتيبه، نوع مداخله، الإحالات المستخدمة، الكشافات الملحقة بالمرجع . إن وجدت . وملاحظة اكتمالها ودقتها وترتيبها)

. الصور والرسوم والخرائط ومدى وضوحها وملاءمتها للموضوعات المصاحبة لها.

هـ . يستحسن اختبار المرجع بمحاولة استخراج بعض المواد منه ومقارنتها بمواد أخرى مشابهة في مراجع أخرى.

4 . مصادر اللغة العربية

هناك تشابه كبير بين تطور تسجيل مصادر اللغة العربية وبين المعاجم. ومن المفيد أن نلاحظ أنّ أوائل العلماء الذين اشتغلوا بتدوين المعاجم هم أنفسهم أوائل من اشتغل بتدوين اللغة العربية. ومن المعلوم أنّ علم النحو نشأ أول ما نشأ بسبب فُشوّ اللحن بين العرب إثر خروجهم من شبه جزيرتهم واختلاطهم بالأقوام التي دخلت في الإسلام حديثا أو خضعت للمسلمين. وتذكر الرواية المتواترة أنّ أبا الأود الدئلي (ت 69هـ) هو الذي وضع النواة الأولى في علم النحو العربي بتوجيه من الإمام علي بن أبي طالب وذلك عندما أتى إليه أبو الأسود شاكيا من لحن ابنته في كلامها. هذا وإنّ الدوافع التي حفزت المسلمين إلى جمع اللغة في معاجم هي نفسها التي دفعتهم إلى جمع اللغة العربية؛ فالخوف على القرآن الكريم والرغبة في ضبط اللسان العربي وحفظه من اللحن، والتفاخر في التراث كل ذلك كان دوافع للرواد الأوائل في بحثهم الشاق عن اللغة العربية. ومن الجدير بالملاحظة أنّ أوائل المعجميين هم بنفس الوقت أوائل اللغويين كالخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ). ولقد مرت عملية جمع اللغة العربية وتأليف الكتب فيها وتأسيس علوم اللغة العربية بمراحل ثلاث:[1]

المرحلة الأولى: جمع أوائل العلماء الكلمات والشواهد له كيفما اتفق وبوبوها ونظموها، وهي مرحلة الرسائل الصغرى في موضوع صغير.

المرحلة الثانية: مرحلة تأليف الكتب في الموضوع كما فعل سيبويه(ت 180هـ) في كتابه (الكتاب) وإيجاد القواعد الناظمة للغة العربية.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة تأليف الكتب الضخمة الشاملة الجامعة للموضوع وشرح الكتب السابقة.

[1] ـ المصادر العربية والمعربة: محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1407هـ، 1987م، ص 196 - 197

ومن المهم أن نلاحظ أنّ عملية تأسيس وتسجيل علوم اللغة العربية قد تأصّلت واستوطنت وتمركزت أكثر ما يكون التأصل والاستيطان والتمركز في مدينتي البصرة والكوفة في أوائل العصر العباسي وما بعده، ووجد مدرستان للنحو مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة. ولكل منهما مذهب معين وطريقة خاصة تخالف الأخرى وأنصار تلاميذ، ثم انتشرت عملية دراسة اللغة في أرجاء العالم الإسلامي.

ولم يُضف العصر الحديث إلى ذلك التراث الهائل شيئا ذا قيمة، إذ لا نزال نعيش عالة على أسلافنا في هذا المجال، وأغلب ما ألّف أو يُؤلّف إن هو إلا إعادة أو شرح أو اقتباس، أو في أحسن الظروف محاولة للتوفيق بين القديم ومتطلبات العصر الحديث.

5 . أهمية مقياس المصادر

إنّ مقياس مصادر اللغة والنقد والأدب على قدر كبير من الأهمية حسب ما ينمّ عنه مسماه؛ إذ لا يمكن تصور أمة دون تراث يربطها بماضيها، ويجعلها تعي حاضرها ومستقبلها، وأبرز ما يشكل هذا التراث هو ما أنتجه العقل عبر التاريخ، وما من شك أنّ أمتنا الإسلامية والعربية تمتلك إرثا حضاريا نجده محفوظا في ثنايا هذه المصادر لغوية كانت أم أدبية أم نقدية، وحين نتصفحها نلمس ضخامة ما خلّفه العلماء المسلمين . الذين لا يكاد يُحصيهم العد . من تراث علمي وفكري وأدبي ابتداء من الرسائل الصغيرة إلى الموسوعات الضخمة.

خلّف لنا العلماء والمفكرون والأدباء تراثا ضخما منذ الخط البياني الصاعد للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى إلى أن بلغ ذروته، ثم منذ انكساره نحو الهبوط في منتصف القرن السابع الهجري أمام الغزو المغولي وسقوط بغداد سنة 656هـ إلى وقوع البلاد الإسلامية تحت الحكم العثماني منذ سنة 923هـ.

وتراث كل أمة هو ركيزتها الحضارية؛ فهو جذورها الممتدة في باطن التاريخ. ومن أجل هذا تحرص الأمم الناهضة . في تأصيلها لواقعها الجديد . على نبش هذا التراث، واستحياء ما هو صالح للبقاء منه، وما يمكن أن يكون له مغزى ودور فعال في بناء واقعها الجديد.

والأمة العربية في حركة ناهضة منذ ما يقرب من قرن ونصف قرن. وقد اقترنت هذه الحركة منذ بواكيرها بالبحث عن الأصول، واستحياء أروع ما خلفته لها الأيام من تراثها الفكري والأدبي. ومع تفتح هذا الوعي اتجهت العناية بالتراث اتجاهين يُكمّل أحدهما الآخر: اتجاها ينصرف إلى كنوز المخطوطات القديمة يحققها تحقيقا علميا، ويوثق مادتها، ويطبعها طبعات دقيقة فييسر بذلك تداولها بين الناس والمشتغلين منهم بالحضارة الإسلامية بخاصة، واتجاها آخر ينصرف إلى دراسة هذه المادة المتاحة، واستنباط المضامين الفكرية والروحية والإنسانية بعامة التي تمثل جوهر ذلك التراث.

وعلى الرغم من تواصل الجهود من جانب المجامع العربية والجامعات والهيئات الرسمية والأفراد في العمل على هذين المحورين، ما يزال ما حقق من هذا التراث ونشر ـ على قيمته البالغة ـ لا يقاس في حجمه إلى ما ينتظر. ومن جهة أخرى ما تزال الدراسات المتعلقة بهذا التراث تتلمس طريقها جيلا بعد جيل نحو بناء تصور أشمل وأعمق لهذا التراث ولمضامينه الإنسانية.

من أجل ها دأبت أقسام اللغات العربية بالجامعات على أن تقدم لطلابها وهم في مستل حياة الدرس والطلب تعريفا بالمصادر الأساسية القديمة للدراسات العربية، واصلة بذلك ماضيهم بحاضرهم، واضعة أيديهم على المفاتيح الأساسية لهذه الدراسات.[1]

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، القاهرة، دط، دت، ص 5 ـ 9

كلية الآداب واللغات
رئيس المجلس العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة رقم (02): بيبليوغرافيا المصنفات اللغوية والأدبية والنقدية قديما وحديثا

تمهيد:

لقد جمعت المصادر الأدبية واللغوية والنقدية بين دفتيها قدرا هائلا من المعارف العربية، ومن ثمّ كانت هذه المصنفات أشبه شيء بموسوعات في الثقافة الأدبية واللغوية العربية بذلك المعنى الموسع؛ حقا إنّ بعض هذه المصنفات قد يغلب عليه الاهتمام بفرع بعينه من فروع هذه الثقافة وفقا للاهتمام الشخصي للمصنف نفسه، ولكن يظل الطابع العام في هذه المصنفات هو خضوعها لمبدأ" الأخذ من كل شيء بطرف"[1] فالكلام على قاعدة نحوية مثلا يستتبع ذكر الشواهد المختلفة من الشعر القديم أو من القرآن أو من الحديث الشريف أو من الخطب التي تؤكد القاعدة ثم يكون ذكر الشاهد طريقا إلى استقصاء الظروف التي قيل فيها، فتحكى عندئذ القصة طالت أم قصرت، وكذلك يكون الشاهد مستتبعا التعريف بصاحبه إن كان شاعرا أو خطيبا. وربما جرّ هذا إلى إصدار حكم على الشاعر أو الخطيب، أو الموازنة بينه وبين غيره ممن يدور في نفس الفلك وهكذا. وليس هناك مدخل واحد لذكر هذا كله؛ فإنّ أيّ عنصر من هذه العناصر قد يؤدي الحديث فيه إلى العناصر الأخرى ومن ثمّ لم يكن غريبا أن نقرأ أيام العرب وحروبها في الجاهلية، وأن تكون نقطة البداية للحديث عن هذه الحروب أبياتا قليلة كانت قد وضعت في لحن وصارت من التراث الغنائي.

ولكن إلى جانب هذه الكتب ذات الطابع الموسوعي في مجال الأدب ظهرت مصنفات أخرى لها طابع متميز، ولها - إلى حد بعيد - منهج واضح وهدف محدد، ومن ذلك كتب الطبقات التي صنف فيها الشعراء منذ الجاهلية تصنيفا قيميا وتاريخيا في الوقت نفسه، أو صنف فيها الأدباء الكتاب سواء منهم من اشتغل بالأدب بمعناه الواسع القديم، أو من تخصص في فرع بعينه من فروع العلوم العربية.

ومنذ عشرة قرون خلت ألّف ورّاق بغدادي كتاب (الفهرست) معلنا بذلك ظهور علم جديد سيلقى ابتداء من أواخر القرن 16م في أوربا اهتماما بالغا، ويتطور إلى أن يصل في يومنا هذا إلى عصر الآلة والعقل الإلكتروني، هذا العلم هو البيبلوغرافيا.[2]

أولا: المصادر الأدبية القديمة

1 . البيان والتبيين:

شهرته الجاحظ، وكنيته أبو عثمان، واسمه عمرو بن بحر، ولد عام (160هـ، 776م) وتوفي عام

---

[1] - المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 131

[2] - مجلة مركز بابل: صباح نوري المرزوك وباقر محمد جعفر الكرباسي، من مقال بعنوان: الجهد البيبليوغرافي، العدد2، 2011م، ص 56

(255هـ)، دأب في البيان والتبيين أن يرسل نفسه على سجيتها لا يتقيد بنظام يترسمه، ولا بمنهج يلتزمه، يبدأ الكلام في قضية ثم يدعهاأثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى ثم يعود إلى ما أسلف حتى ليصعب الاهتداء في جنبات مؤلفه إلى الفكرة والرأي لمن يبحث عنهما.

تحدث الجاحظ تحت عناوين ثلاثة: البيان والبلاغة والخطابة عن قضية واحدة هي الكلام الجيد، خطبة أو جدلا، أو حوارا أو قصصا.[1]

2 . الكامل في اللغة والأدب للمبرد

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، شهرته المبرد، وُلد عام (210هـ، 826م) وتوفي عام (285هـ) يُعدُّ مُؤلَّفُ الكامل آخر ما ألّف من كبريات كتبه، تمثّلت فيه ثقافة المبرد بكل جوانبها؛ لغوية أو نحوية أو أدبية.

أوجز المبرد في مقدمة الكتاب مادته، والمنهج الذي سوف يسير عليه، وعبر الكتاب تحدث في إشارات مختصرة عن الشعراء المحدثين، أو المولدين بلغته.

وكتاب الكامل كمحاضرات يدرسها الطلاب بلغ الغاية في بابه لأنّ تعليم النحو واللغة عن طريق الأدب من خلال النصوص الجيدة أفضل ما يشير به مربّ عارف، ويجاري أحدث النظريات التربوية. ولم تقتصر تعليقات المبرد على النحو واللغة، وإن كانت مناط اهتمامه الأول فتعرّض لعدد من مسائل البلاغة دون أن تأخذ شكل قاعدة علمية محددة، فتكلم عن الكناية وأقسامها، والمجاز وأنواعه، والاستعارة وألوانها، والالتفات والتجريد، وأطنب القول في التشبيه. ويُعدُّ حظُّ النقد من كتابه محدود، فهو يروي الشعر، ويفسر لغوياته، ويعرب كلماته، ويحلل جمله ولكنه لا يتعرض لمناحي الجمال فيه.[2]

3 . العقد الفريد

هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، ولد بقرطبة عام 246هـ وتوفي عام 328هـ.

ويُعدُّ كتابه العقد الفريد مصدرا مهما من مصادر التراث العربي لا يقلّ قيمة عن الكتب التي سبقته؛ بل إنه حقا يتميز عنها بوفرة المادة التي استقاها من مصادر عدة، وبتنوع الموضوعات. وما يميز كتاب العقد الفريد عن غير من الكتب السابقة عليه نستدلّ عليه من قوله التالي:" وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب شافيا، جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة. وحليت كل كتاب منها

[1] ـ دراسة في مصادر الأدب: الطاهر أحمد مكي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط8، 1419هـ، 1999م، ص 180 - 181

[2] ـ نفسه: ص 220 وما بعدها.

بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ لمغربنا . على قاصيته . وبلدنا . على انقطاعه . حظا من المنظوم والمنثور"[1]

ومعنى هذا أنّ ما يُميّز كتاب العقد الفريد عن كتب المصنفات السابقة عليه هو أنه جعله شافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه الخاصة والعامة، وهذا ما كان ينقص الكتب السابقة عليه هذا شيء والشيء الآخر هو أنّ عبد ربه قدم فيه ما يتعلق بالمغرب الإسلامي من أدب وأخبار.

4 . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، ولد عام (284هـ،897م) وتوفي عام (356هـ، 967م) يُعدُّ الأغاني وبحق من خيرة ذخائر التراث العربي، ألفه أبو الفرج في خمسين سنة، وأجمع المؤرخون وأهل الأدب على أنّ الأغاني نسيج وحده في هذا الباب، وأنّ كل كتاب في الأدب جاء بعده كَلّ عليه، ولولاه لضاع الكثير من أخبار الجاهلية وصدر الإسلام، وأيام بني أمية، وسماه الأغاني لأنه بنى مادته في البدء على مائة صوت. فهو بحق أوفى المصادر في تاريخ الغناء العربي وأخبار المغنيين والمغنيات في صدر الإسلام والدولة الأموية، والجانب الذي عاشه من دولة بني العباس، لكن مصطلحات الأصوات الواردة فيه غير معروفة، ولم ينته العلماء من تحديد مدولاتها بعد.[2]

5 . الأمالي لأبي علي القالي

هناك نوع من التأليف في التراث العربي كان يقوم على الإملاء؛ أي أنّ العلماء كانوا يجلسون إلى تلاميذهم ويتحدثون إليهم بما تجود به قريحتهم، وكانوا يتميزون بكثرة الحفظ وقوة الذاكرة في الشعر والنثر والحديث والتفسير، واللغة والنحو فيكتب عنهم التلاميذ، وفي النهاية تضم هذه المحاضرات بعضها إلى بعض لتؤلف كتابا في الأدب أو النحو أو الشعر أو غير ذلك، ولهذا فقد سمي هذا النوع من التأليف بالأمالي، وقد يسمى بالمجالس.

ويُعدّ كتاب الأمالي من أكثر كتب الأمالي شهرة والتي لا غنى للدارس عنها.

ولد أبو علي عام (288هـ) وتوفي عام (356هـ) ويحوي كتاب الأمالي شأنه شأن الكتب التي ألفت من قبل على روايات أدبية متنوعة، فيها من الشعر والأخبار والخطب والأحاديث النبوية والآيات القرآنية. ويعدّ بحق مصدر مهم في اللغة ذلك أنّ صاحبه متفقه في اللغة إلى أبعد حد، وقدير في شرح العويص من الألفاظ.[3]

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 180

[2] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص 259 - 266

[3] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 215 - 220

ولا نقف عند هذا الحد من ذكر للمصادر الأدبية القديمة لأنها كثيرة جدا، ونستطيع أن نوجز بعضها في أسطر وهي:

.كتاب الحيوان والبخلاء للجاحظ.

. عيون الأخبار لابن قتيبة.

. نهاية الأرب في فنون الأدب

. طبقات الشعراء لابن سلام

. معجم الشعراء للمرزباني

. معجم الأدباء لياقوت الحموي

. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري

.كتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي

. الأصمعيات للأصمعي.

. المفضليات للمفضل الضبي.

. جمهرة أشعار العرب للقرشي.

. إصلاح المنطق: ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ) [كتاب أراد به مؤلفه أن يعالج داء اللحن والخطأ في العربية وأن يصحح به بعض ما طرأ على اللسان العربي من فساد، وأن يضع أمام القارئ ذخيرة طيبة من الألفاظ للمعنى الواحد أو المعاني المختلفة وأن يبين ما فيه لغة أو أكثر من الكلام وأن يضبط أبنية الألفاظ المتشابهة حتى لا ينطق كلمة بضم أولها والصواب فتحها؛ إنه في ضبطه وشرحه وتحقيقه الدقيق وفهارسه المتقنة يعد مصدرا دقيقا من مصادر اللغة العربية والنحو العربي]

.كتاب النوادر: أبو مسحل الأعرابي[كتاب في اللغة يمثل لغة البادية في صدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلا جيدا، والكتاب أثبت وأوثق وأوسع نص لغوي وصل إلينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة العربية وتدوينها، وهو يعد مثلا جيدا لخطة العلماء والرواة في جمع اللغة وتدوينها مع فهارس]

ثانيا:المصادر اللغوية القديمة

1 . أساس البلاغة

مؤلفه الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ولد عام (467هـ) وتوفي عام (538هـ) وقد نهج الزمخشري في أساس البلاغة نهجا جديدا في كتابه يخرج به عن هذا النطاق الذي لمحناه في المعاجم السابقة، فهلا يفسر كلمة مكان كلمة، ولا يبتغي حصر اللغة حصرا شاملا ليعرف بمفرداتها ولكنه تنقل

في البلاد العربية وأتيح له أن يسمع من الأعراب في بواديها، زمن خطباء الحلل في نواديها. ومن الثروة اللغوية التي اكتسبها الزمخشري استطاع أن يدرك أنّ اللفظة ومعناها ليست الطريق للتعريف بروح العربية ولا تكشف عن سرها وإنما ذلك يتأتى من تخير ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين أو ما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تلمح وتحسن. فعمل كتابه وسماه أساس البلاغة يتجاوز به هدف أصحاب المعاجم الذين اقتصروا على التعريف بالعربية في نطاق مفرداتها. وكما اختلفت وجهة التأليف اختلفت أيضا طريقة الترتيب ورأيناه يسلسل للكلمات بحسب أوائلها.[1]

2 . مقاييس اللغة

مؤلفه أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ولد عام (329هـ) وتوفي عام (395هـ). ويُعدّ معجم مقاييس اللغة معجما خاصا يهم الباحثين في فقه اللغة العربية بالدرجة الأولى، وليس من المعاجم التي يُرجع إليها في الأحوال العادية لمجرد الكشف عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة.

لقد استمدّ ابن فارس مادته من كتب خمسة هي: كتاب العين للخليل، وكتابا غريب الحديث ومصنف الغريب لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، والجمهرة لابن دريد.

وقد سيطرت فكرة مقاييس اللغة على ابن فارس؛ وهو يعني بها المعنى المشترك بين صيغ اللفظ المختلفة، ومن ثمّ فقد سمى كتابه (مقاييس اللغة) وقد نجح في استنباط المعنى المشترك بين صيغ المادة في الثنائي والثلاثي؛ فإنه عندما حاول تلك المحاولة في الألفاظ الرباعية أو الخماسية لم يتمكن من ذلك ولهذا فقد حاول استنباط معاني هذه الألفاظ من خلال نظرية أخرى هي نظرية النحت.[2]

3 . فقه اللغة وسر العربية

مؤلّفه أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري(ت 430هـ) اشتهر بكثرة تأليفه في اللغة والأدب، وقد وصف بأنه كان جاحظ زمانه أو جاحظ نيسابور.

قسم الثعالبي القسم الأول (فقه اللغة) ثلاثين بابا تضم ما يناهز ستمائة فصل؛ أي أنه قد وزع المادة بين هذه الأبواب التي تحمل المعاني الكلية، ثم يوزع المعاني الجزئية لتضمّ مجموعات من المفردات المستعملة في موضوع واحد أو الداخلة في إطار معنى جزئي بعينه وتحكمها جميعا تلك المعاني الكلية التي تشكل رؤوس الأبواب. ثم أعقبه (بسر العربية) فبينهما صلة لا محالة. وقد حدد موضوعه بأنه سر العربية

[1] ـ مصادر اللغة: عبد الحميد الشلقاني، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط2، 1982م، ص673 - 675

[2] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 353 - 355

في مجاري كلام العرب وسننها، والاستشهاد بالقرآن على أكثرها، وهو في هذا النهج أشبه بكتب إعجاز القرآن، غير أنه أصغر حجما منها وأقل استشهاد وأوجز تحليلا، فأغلب فصوله على جهة الإشارة وتضم موضوعات نحوية وصرفية وبلاغية وبعض قضايا لغوية.[1]

4 . ألفية ابن مالك

هي متن يضم غالب قواعد النحو والصرف العربي في منظومة شعرية يبلغ عدد أبياتها ألف وبيتان، أبيات على وزن بحر الرجز أو مشطورة، وحظيت الألفية بقبول واسع لدى دارسي النحو العربي.[2]

وهناك عدة مصادر أخرى نذكر منها ما يلي:

. الصحاح للجوهري.

. القاموس المحيط للفيروز أبادي.

. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لعلي المقري الفيومي.

. الكتاب لسيبويه (من أشهر كتب اللغة العربية وأولاها بالثقة. بنى كتابه على المنطق وجمع شذور اللغة، واستعمل القياس في كتابه، وتحدث عن الصرف وتركيب الكلمة وبنيتها وعن المزيد والمجرد مما لم يسبق إليه)

. الزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي.

. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري.

. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين الأنصاري.

. مفتاح العلوم للسكاكي.

. التلخيص لجل الدين القزويني.

. الأضداد للأنباري.

. إصلاح المنطق لابن السكيت (كتاب أراد به مؤلفه أن يعالج داء اللحن والخطأ في العربية وأن يصحح به بعض ما طرأ على اللسان العربي من فساد، وأن يضع أمام القارىء ذخيرة طيبة من الألفاظ للمعنى الواحد أو المعاني المختلفة، وأن يبين ما فيه لغة أو أكثر من الكلام وأن يضبط أبنية الألفاظ المتشابهة حتى لا ينطق كلمة يضم أولها والصواب فتحها. إنه في ضبطه وشرحه وتحقيقه الدقيق وفهارسه المتقنة يعدّ مصدرا دقيقا من مصادر اللغة العربية والنحو العربي)

. البارع للقالي.

. تاج العروس للزبيدي.

---

[1] ـ المدخل إلى مصادر اللغة العربية، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1428هـ، 2008م، ص 218 - 219

[2] ـ المصادر الأدبية واللغوية: قرل عبد المالك، المركز الجامعي نور البشير، البيض، دط، دت، ص 9

ثالثا: المصادر النقدية القديمة

1 . الشعر والشعراء لابن قتيبة

ابن قتيبة قرين الجاحظ في سعة الثقافة وشمولها، ولد عام (213هـ، 828م) وتوفي عام (276هـ، 889م).كان ابن قتيبة عالما باللغة والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف.

تحدّث ابن قتيبة في القسم الأول من كتابه عن الشعر، لفظه ومعناه، ما حسُن منه وما رذُل، وعالج عيوب الشعر. أما القسم الثاني من كتابه وهو الأكثر أهمية بالنسبة لتأريخ الأدب على الشعراء؛ أنسابهم وأشعارهم، وما اتصل بهم من تاريخ وحكايات، ومهّد له بحديث قصير عن أوائل الشعراء.[1]

2 . طبقات فحول الشعراء

مؤلفها ابن سلام الجمحي، ولد عام (139هـ، 756م)

مهّد ابن سلام لحديثه عن الشعراء بمقدمة أوضح فيها منهجه، وأبان عن رأيه، فتحدث عن عدد من القضايا الأدبية ذات أهمية قصوى تتصل بالنقد الأدبي وبتاريخ الأدب، وتحدث عن الانتحال، وعرض لنشأة الشعر العربي، ونشأة النحو العربي.كان حديث ابن سلام في المقدمة تمهيدا للهدف الأصلي، وهو ذكر العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها.[2]

3 . عيار الشعر لابن طباطبا

محمد بن أحمد العلوي أبي الحسن (322هـ)، فكرته المركزية هي مسألة الوزن التي تميز الشعر عن النثر، ومسألة القديم والمحدث. وفي تصوره أنّ القدماء تناولوا كل الموضوعات، وطرقوا كل المعاني، ولم يتركوا للمحدثين مجالا للكلام ومن هنا اضطروا إلى السرقة من شعر القدماء ولذلك يُدافع ابن طباطبا عن سرقات المحدثين بشكل فلسفي محض.[3]

4 . أخبار أبي تمام

محمد بن يحيى أبي بكر الصولي (355هـ) وأخبار أبي تمام مصدر عظيم غير أنه في حساب النقد تظل أخباره ضئيلة القيمة، ومعلوم عند النقاد أنه إذا كان الآمدي خصما لأبي تمام فإنّ الصولي مناصرا له.[4]

---

[1] - دراسة في مصادر الأدب: ص 238 - 246

[2] - نفسه: ص 154 - 165

[3] - المصادر الأدبية واللغوية: ص 11

[4] - أخبار أبي تمام: أبو بكر الصولي، تحقيق: محمد عبده غرام، خليل عساكر، نظير الإسلام الهندي، دار الآفاق الجديدة، ط 3، 1980م، ص 4 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية: ص 11

5 . نقد الشعر

مؤلّفه قدامة بن جعفر (337هـ)ويطرح الكاتب في مؤلّفه تعريفا للشعر ويحاول تحليل هذا التعريف بثقافة عميقة جعلت بعض الدارسين يردون جذورها إلى الفكر اليوناني وخاصة فلسفة أفلاطون التي ترى أنّ الأشياء الحسية ما هي إلا أشباح لحقيقتها الكلية في عالم المثل، وعنده أنّ الشعراء يريدون الوصول إلى القصيدة المطلقة من خلال تعريفه لكنهم لم ولن يصلوا.[1]

رابعا: المراجع الأدبية الحديثة

1 . دراسات في الأدب العربي

مؤلفه محمد مصطفى هدارة، ويضم هذا الكتاب بحثا موجزا عن الشعر العربي الحديث ومراحل تطوره، وقد جعل الهدارة كتابه ينقسم إلى قسمين:

الأول المختص ببحوث الشعر بفنونه المختلفة الغنائية والقصصية، والثاني يهتم ببحوث النثر بفنونه المتعددة من دراسة أدبية، إلى أقصوصة، إلى رواية ومسرحية، وبعض بحوث الشعر أو النثر يتناول ظواهر وقضايا عامة تشمل الأدب العربي المعاصر بنظرة كلية، وبعضها الآخر يتناول أديبا بعينه في ظاهرة خاصة، أو في عمل أدبي محدد.[2]

2 . تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا:

لأحمد حسن الزيات، وقد قسمه مؤلفه إلى خمسة أبواب أجمل فيه حال الأدب في العصور الخمسة.[3]

3 . الجامع في تاريخ الأدب العربي:

مؤلفه حنا الفاخوري، فهذا الكتاب محاولة لتسهيل دراسة الأدب العربي دراسة تذهب في العمق، وتشمل القسم الأكبر من التراث الفكري الأدبي في تسلسل وجدولة إيضاحية وإبراز للأفكار، يخاطب العين والذهن مخاطبة ترسيخ منظّم، وتحليل بعيد عن الثرثرة، واستجلاء خال من كل تأويل مزخرف، ومجرد من كل تعليل مزيف.[4]

4 . دراسة في مصادر الأدب

لأحمد الطاهر مكي، وقد اعتنى هذا الكتاب بالمصادر النادرة التي قلما يعرض لها الدارسون ولم يعرفوا عنها شيئا. أشار المؤلف الرواية والخط العربي وعصر المخطوطات، وطرق التدوين وشرائط النسخ، ثم أشار

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية: ص 11 وينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، 1963م، ص3

[2] ـ ينظر: دراسات في الأدب العربي: محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، ط1، 1990م، ص 7، وينظر: المصادر الأدبية واللغوية: ص 11

[3] ـ تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا: أحمد حسن الزيات، دار النهضة، مصر، دط، دت، ص 2 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية: ص 12

[4] ـ الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ص5 وينظر: مصادر الأدبية واللغوية: ص 12

مكي لمصادر الشعر الأولى والمصادر الأدبية القديمة(البيان والتبيين، وطبقات فحول الشعراء، والحيوان، والكامل، .....)[1]

ومن المصادر الأدبية الحديثة يمكن أن نذكر التالي:[2]

. مساءلات في الفكر والأدب: عبد اله حمادي

. طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث: عصام بهي

. في الشعر العربي: حسين نصار

. دراسات في الأدب الجاهلي: عبد العزيز نبوي

. في الأدب العباسي: فوزي عيسى

. أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث: حلمي بدير

. في الأدب الجزائري الحديث: محمد بن سمين

. في مصادر الأدب: فوزي عيسى

خامسا: المراجع اللغوية الحديثة

1 . مبادئ في اللسانيات

مؤلفه خولة طالب الإبراهيمي، عرضت المؤلفة في كتابها لعدة قضايا لسانية منها: التعريف بعلم اللسان وتحديد اتجاهاته، وموضوعه، والتحليل العلمي للسان وكذا مستوى الكلمات ومستوى أبنية الكلام، والمفردات والدلالات اللغوية، كما وعرضت للتطورات المعاصرة للسانيات.[3]

ومن المراجع اللغوية الحديثة يمكن أن نذكر التالي:

. ظاهرة الإعراب في النحو العربي: محمود سليمان ياقوت

. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس

. علم الأصوات: كمال بشر

. علم اللغة: علي عبد الواحد وافي

. علم الدلالة: أحمد مختار عمر

. التطبيق الصرفي: عبده الراجحي

. دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر

---

[1] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص 387 - 388

[2] ـ مصادر الأدبية واللغوية: ص 12

[3] ـ مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، 203 - 206

. اللسانيات النشأة والتطور: أحمد مومن

. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان

. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب

. دراسات في علم اللغة: كمال محمد بشر

. علم اللغة . مقدمة للقارئ العربي . محمود السعران

. مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور

. علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي

سادسا: المراجع النقدية القديمة

1 . حديث الأربعاء

مُؤلّفها طه حسين، وهي سلسلة مقالات

2 . في الأدب الجاهلي

مُؤلفه طه حسين

3 . مناهج النقد الأدبي المعاصر

مؤلفه صلاح فضل، يتضمّنُ المؤلَّفُ عددا من المحاضرات عن مناهج النقد المعاصر ألقاها المؤلف على طلاب الدراسات العليا، وهي أميل إلى التبسيط والشرح دون التدقيق في المصادر أو التأنق في العرض، فابتعدت بذلك عن الأكاديمية مقتربة من إملاءات طه حسين ومحمد مندور على وجه الخصوص ما يجعلها تتسع لتتجاوز دائرة المتخصصين إلى عامة المشتغلين بالأدب والثقافة والكتاب، يضع خريطة كلية للمشهد النقدي في الثقافة العربية والعالمية بتفادي التفصيلات الجزئية، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث أجزاء رئيسة؛ الأول يعرض لمفهوم المنهج والثاني لمنظومة المناهج التاريخية بينما الثالث يعرض لمنظومة المناهج الحداثية.[1]

4 . دراسات في النقد الأدبي

مُؤلف الكتاب أحمد كمال زكي، وهذا الكتاب جعل النقد الأدبي تفسيرا للأعمال الأدبية وذلك بالغوص في كلماتها على أساس أنها تصور تجارب إنسانية يُراد فهمها.[2]

ومن المراجع النقدية الحديثة التي يمكن الإشارة إليها:

[1] ـ ينظر: مناهج النقد الأدبي المعاصر: صلاح فضل، دار النشر أطلس للنشر والتوزيع والإنتاج، القاهرة، دط، 2005م، ص3 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية: ص 14

[2] ـ ينظر: دراسات في النقد الأدبي: أحمد كمال زكي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 6 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية: ص 14

. مناهج البحث في النقد والأدب: خفاجي محمد عبد المنعم
. أصوات النقد الأدبي: أبو كريشا
. تاريخ النقد الأدبي عند العرب: عبد العزيز عتيق
. دراسات في النقد الأدبي المعاصر: محمد زكي العشماوي
. النقد الأدبي: أحمد أمين
. مناهج النقد المعاصر: صلاح فضل

المحاضرة رقم (03): معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

تمهيد:

سبق العرب الأمم الأخرى على اختلاف أجناسها إلى تأليف المعاجم اللغوية ووضع الأسس لجمع مفردات اللغة وتحديد معانيها، وبيان مشتقاتها، ابتداء من القرن الثاني الهجري إلى زماننا هذا فكان منها المعاجم الصغيرة التي يمكن للفرد أن يستفيد منها في سهولة ويسر، وكان منها المعاجم الكبيرة التي قد تصل إلى عشرين مجلدا أو أكثر، والتي هي أشبه بالموسوعات اللغوية الأدبية منها بالمعاجم.

بدأت الحركة المعجمية عند العرب في منتصف القرن الأول للهجرة، وكان غرضها تفسير غريب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. ويُعرف هذا النشاط في التاريخ اللغوي ب (**معرفة الغريبين**)، وأقدم مظاهر هذا النشاط (سؤالات نافع بن الأزرق) لابن عباس (رضي الله عنه) على أنّ أقدم كتاب وضع في (غريب القرآن) صنعه (أبان بن تغلب) . ت 140هـ. وبعده كتاب (مؤرج السدوسي) . ت 195هـ.

ثم إنه بعد طروء ظاهرة اللحن بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، ودخول الناس أفواجا في دين الإسلام باتت الرغبة ملحة لجمع اللغة الفصيحة من أفواه أصحابها قبل أن يفسدها الأعاجم. ومنذ القرن الثاني الهجري صارت العربية تُحصّل بالدراسة لا بالممارسة، وغدت المادة المعجمية ضرورية لهذه الدراسة.

وقد سرت حركة التأليف المعجمي عند العرب بعدة مراحل مبتدئة في القرن الهجري الثاني، وأخذت تنمو تدريجيا حتى نضجت واكتمل نموها في القرن الرابع الهجري. ويمكن تحديد هذه المراحل كالآتي:

. **المرحلة الأولى**: وهي مرحلة تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب. وقد سبق التدوين عملية الجمع التي قام بها الرواة والعلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول وخلال القرن الهجري الثاني عن طريق السماع من عرب البادية واتصالهم المباشر بهم أو أثناء قدومهم إلى المدن، فضلا عن اعتمادهم على القرآن الكريم والحديث الشريف ثم أخذ بعض الرواة يدونون هذا التراث اللغوي في رسائل متفرقة لا تخضع لأيّ ضرب من ضروب الترتيب والتنسيق.

ولعل كتاب (النوادر في اللغة) لأبي زيد الأنصاري (ت 225هـ) خير ما يمثل هذه المرحلة. إذ يورد المؤلف فيه نصوصا شعرية ونثرية مليء بالمفردات العربية النادرة فيشرحها ويعلق عليها من غير ترتيب في إيراد النصوص أو ربط بين معاني الألفاظ، وقد يعمد المؤلف إلى ذكر ما كان لدى قبائل العرب من لغات خاصة في الكلام أو من لهجاتهم.

. **المرحلة الثانية:** في هذه المرحلة اتجه علماء اللغة إلى جمع الألفاظ الخاصة بموضوع معين مستعينين بما خلّفه السابقون من الرواة، وظهرت رسائل لغوية صغيرة سميت بالمعاجم الخاصة، وصلنا بعضها بشكل مخطوط، وفقد الكثير فيما فقد من كتب التراث.

ومما ألف في هذه المرحلة كتب الأصمعي (ت 216هـ)، وكتب ابن دريد (ت 321هـ)، وكتب ابن قتيبة (ت 276هـ) . وكل هذه الرسائل كانت المادة الأساسية لمعاجم الألفاظ الكبرى التي ظهرت بعدها.

. **المرحلة الثالثة:** وهي المرحلة التي بدأ بها وضع معاجم شاملة للغة العربية مرتبة على نمط خاص. فهي إما مرتبة على حسب الموضوعات وتسمى معاجم (المعاني) أو (المعاجم المبوبة) وهي امتداد لمعاجم المرحلة الأولى ، أو مرتبة بالنسبة لحروفها لا إلى معانيها وتسمى معاجم الألفاظ أو (المعاجم المجنسة).[1]

1 . التعريف بالخليل بن أحمد (ت 175هـ)

الخليل بن أحمد (717 . 786 م) ولد في عُمان، لكنه نشأ وتعلم وعلم بالبصرة، فاشتهر بالبصري. ينتسبُ إلى بطن فرهود من قبيلة الأزد، فعرف بالفراهيدي. برز في العلوم اللسانية من نحو ولغة وشعر، كما كان بارعا بالعلوم الرياضية والشرعية والموسيقى. له (كتاب العين) وهو أول معجم لغوي وصل إلينا، ومؤلفات عدة لم يصلنا شيء منها، لكن كتب الطبقات ذكرت أسماء بعضها منها: النقط والشكل، والنغم، والعروض، والشواهد، والجمل، والإيقاع.[2]

2 . كتاب العين

بدأت في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة حركة تأليف المعاجم العربية الموازية لحركة الجمع الموضوعي، وبدأت بكتاب العين، الذي يُعدُّ أول محاولة لحصر ألفاظ اللغة العربية على نحو شامل وفي إطار نظام منهجي واضح له أسس وقواعد مضبوطة. ويبدو أنّ تأليف العين كان طفرة وسابقا لأوانه، إذ لم تكن حركة جمع اللغة قد انتهت بعد من عملية استقصاء اللغة وتسجيلها بشكل تام، ولم يشاركه هذا السبق إلا أبو عمرو الشيباني (ت 206هـ) في معجمه (كتاب الجيم) إلا أنه خالف نهج الخليل الصوتي، إذ يرتب الكلمات الواردة في إطار الجذر الواحد ترتيبا داخليا على نحو ما فعل الخليل داخل المواد ولم تحدث إضافة منهجية أخرى في بناء المعجم إلا في القرن الرابع الهجري الذي يُعدُّ أهم القرون في وضع المعاجم العربية.

وثمة خلاف حول مدى إسهام الفراهيدي في العين وذلك القدر الذي فعله تلميذه الليث بن المظفر (ت 190هـ) ويبدو أنّ جهد الخليل ينحصر في المقدمة، ووضع التخطيط العام للكتاب، وتطبيقه في الأبواب الأولى أما الليث فهو راوية ما أعده الخليل ومؤلف باقي الكتاب.

---

[1] ـ ينظر: المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية، ص 31 - 33

[2] ـ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1980م، 2/ 314.

3 . ترتيب المادة اللغوية

رتب الفراهيدي المادة اللغوية في كتاب العين على حسب مخارج الحروف من الحلق، على النحو التالي:(**ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي**)

وقد علل الليث حكاية عن الخليل تقديم العين على الحاء والهاء وما لاحظه من تغيير الهمزة والألف فلم يبدأ بأيّ منها، وإنما بدأ بالعين لأنه الصوت الحلقي الأول الذي لا يتغير في الأبنية الصرفية، وسمى معجمه باسم أول قسم فيه من كتاب (العين) ثم تلاه ببقية أصوات الحلق متدرجا من أعلى إلى أسفل، فذكر باقي الحروف حتى الحروف الشفوية، وختم ترتيبه بأصوات العلة والهمزة. هذا **الأساس الأول للترتيب الخارجي**.

أما الأساس الثاني وهو خاص بالترتيب الداخلي، فينقسم قسمين:

الأول: ترتيب الكلمات على أساس الحروف الأصول فقط دون الحروف الزوائد، وظلّ هذا المبدأ الذي وضعه الخليل في كتاب العين الأساس الذي بُنيت عليه معظم المعاجم العربية.

الثاني: ترتيب الكلمات الداخلة تحت مادة واحدة على أساس الأبنية، فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي (الصحيح والمعتل واللفيف) ثم الرباعي، ثم الخماسي، والتزم هذا المبدأ أيضا عدد من المعاجم التي سارت على نهج الخليل مثل تهذيب اللغة والمحيط والبارع وغيرها.

أما **الأساس الثالث** فهو التقليبات إذ تنتج هذه الطريقة في الثنائي إمكانيتين فقط، مثل: ع د / د ع. أما الثلاثي ففيه ستة تقليبات مثل: ك ت ب / ك ب ت / ت ك ب / ت ب ك / ب ك ت / ب ت ك. أما الرباعي فعدد التقليبات فيه أربعة وعشرين (24) وجها تقليبا، وفي الخماسي تبلغ مئة وعشرين (120) وجها تقليبا.[1]

وبديهي أنّ هذه التقليبات لا يوجد لها في اللغة أمثلة، إذ إنها ليست كلها مستعملة عند العرب، ولذلك أطلق الخليل على الصيغ التي وجدها فعلا مصطلح (المستعمل) وعلى الصيغ غير الموجودة ولكنها ممكنة نظريا (المهمل) ويلاحظ أنه يصدر حديثه عن كل مادة ببيان ما استعمل من تصاريفها وما أهمل، مثل: " باب العين والهاء والجيم معهما. عهج، هجع، مستعملان، جهع، عجه، هعج، جعه، مهملات"[2]

وثمة ملاحظات يجب أن يشار إليها في هذا السياق، وهي:[3]

. يضمّ كل حرف جميع الكلمات التي ورد فيها الحرف في أي موضع فيها، فإذا انتقل إلى حرف آخر استبعد الكلمات التي فيها الحرف المتقدم، بمعنى أنه بدأ كتابه بحرف العين، فذكر جميع الكلمات التي تتضمن حرف

---

[1] ـ المدخل إلى مصادر اللغة العربية: ص 255 - 256

[2] ـ العين 39/1

[3] ـ المدخل إلى مصادر اللغة العربية: ص 257

العين في أي موضع منها، وحين انتقل إلى حرف الحاء ذكر جميع الكلمات التي تتضمن هذا الحرف، ولكنه استبعد الكلمات التي فيها عين لأنه قد تقدم ذكرها في حرف العين المتقدم، وهكذا.

4 . طريقة البحث عن كلمة ما في العين:

إنّ البحث عن كلمة ما في العين يُلزم تتبّع الخطوات التالية:[1]

. تجريد الكلمة من الحروف الزوائد للوصول إلى المادة الأصلية (الحروف الأصول) فإذا كانت الكلمة جمعا ردّت إلى الإفراد، وإذا كانت مضعفة استغني عن التضعيف لتحديد بنائها الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي...

. ترتب حروف المادة الأصلية ترتيبا صوتيا وفق نظام الخليل الصوتي . المشار إليه فيما سبق . فإذا كانت الكلمة مثل: **لكع** فالبحث عنها في مادة **ع ك ل**.

5 . طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي في الشرح والاستشهاد

لقد كانت طريقة الفراهيدي في الشرح والاستشهاد واحدة، إذ كانت البداية دائما بذكر المادة مجردة، وهذا هو المبدأ الأساسي الذي ارتضاه أغلب المعجميين، ثم شرحها مجردة ومزيدة ولم يحد عن تتبع مشتقات الكلمة وجمعها في موضع واحد. وكان يذكر الفعل ومصدره في مثال يبين معناه، فإذا كان مزيدا بين طرق زيادته، ويُلحق بالمصدر الصفات إن وجدت أما الأسماء فكان يبين وزنها ويشرحها ويهتم بإظهار علة تسمية الشيء بذلك الاسم، وكيفية اشتقاقه وعلته، وذكر صيغ المفرد والجمع، وإذا كان للفظ دلالات مختلفة أوضحها في عدة استعمالات، وقد جمع في معجمه المستعمل الواضح والغريب والنادر إلا أنه أولى المستعمل عناية أكبر في الشرح والتعليل.[2]

6 . أثر كتاب العين

لا نعلم معجما كان له أثر ككتاب العين، وهذا أمر غير مستغرب لمعجم افتتح التأليف المعجمي، فوضع للغويين منهجه، وسنّ لهم سنته، حتى أضحت السمات التي اتسم بها، مبادئ التزم بها كثير ممن أتوا بعده وحذوا حذوه في التأليف المعجمي. فترتيب المواد حسب نظام معين في ترتيب الحروف، لا حسب الموضوعات . كما كان شائعا في عصره . أصبح السمة العامة لمعظم المعاجم التي أتت بعده، والترتيب المخرجي التزم به أكثر من معجمي، وترتيب المواد وفق أحرف أصولها سارت عليه المعاجم اللغوية العربية والاتيان بالشواهد نراه في معظم المعاجم التي ألّفت بعده. وكذلك القول بالنسبة لنظام التقليبات الذي ابتدعه، والتقسيم حسب الأبنية الذي سار عليه.[3]

---

[1] ـ المدخل إلى مصادر اللغة العربية: ص257

[2] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3] ـ المعاجم اللغوية العربية ـ بداءتها وتطورها ـ إميل يعقوب، دار العلم للملايين ـ بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 50 - 51

7 . مآخذ المتأخرين على العين

تعرّض معجم العين لنقد عنيف، وكان للمتأخرين عدة مآخذ عليه، من أهمها:[1]

. التصحيف والخطأ في الاشتقاق والتصريف.

. إهماله الضبط، فإن قبل ذلك فيما لا يحتاج إلى ضبط، فأغلب المواد كانت في أمسّ الحاجة إلى ضبط دقيق اتقاء للحن والتحريف.

. وقوع خلط واضطراب في ترتيب بعض المواد وترتيبها، فلزم الاستدراك عليها.

. أما وجود بعض الآراء للكوفيين والاستشهاد بشعر المحدثين، وورود روايات لبعض الرواة جاءوا بعد الخليل فأمور لا دخل للخليل فيها.

لقد سار على نهج الخليل؛ أي النظام الصوتي، وحصر مشتقات المادة، وتقسيم المواد وفق الأبنية، وتحديد تقلبات المادة مع تعديل في بعضها كل من:

. أبي علي القالي (ت 356هـ) في معجمه البارع.

. أبي منصور الأزهري (ت 370هـ) في معجمه تهذيب اللغة.

. أبي بكر الزبيدي (ت 379هـ) في كتابه مختصر العين.

. الصاحب بن عباد (ت 385هـ) في معجمه المحيط.

. ابن سيده (ت 458هـ) في معجمه المحكم والمحيط الأعظم.

قائمة بأهم معاجم الترتيب الصوتي مع أبرز سماتها			
المنهج	**اسم المعجم**	**المؤلف ومكان ولادته**	**أهم سمات المعجم + ملاحظات**
	العين	الخليل بن أحمد الفراهيدي . عمان . (717 . 786 م) (108 . 175 هـ)	. أول معجم لغوي وصل إلينا . تقسيم كمي . جعل معجمه على عدد الحروف، وسمي كل حرف كتابا . شواهد . التنظيم تبعا للجذر (يذكر الكلمة ثم مقلوباتها) اختصره الزبيدي في معجم سماه (مختصر العين)

[1] ـ المعاجم اللغوية العربية ـ بداءتها وتطورها: ص 258

صوتي	**البارع**	أبو علي القالي . مناز جرد . (على الفرات) (895 . 967 م) (285 . 356هـ)	. تقسيم كمي إلى ستة أبنية . نظام صوتي شبيه بالنظام الخليلي، اهتم بضبط اللفظ (أسلوبان) . . اعتنى بذكر النوادر والأخبار. . اهتم بلغات العرب وبنسبة كل قول إلى صاحبه.
	تهذيب اللغة	أبو منصور محمد الأزهري . هراة . (895 . 981 م) (285 . 371 هـ)	. تقسيم كمي إلى ستة أبنية . قسم الكتاب إلى أبواب وكتب فجعل الحروف أبوابا والأبواب كتبا . . نبه على المهمل وسببه وعلى النوادر. . اهتم أكثر من غيره بالاستشهاد من القرآن الكريم والحديث الشريف.
	المحكم والمحيط الأعظم	ابن سيده علي . مرسية . (الأندلس) (1007 ت 1066 م) (397 . 458 هـ)	. تقسيم كمي . استدرك على من سبقوه البناء السداسي . ضخامة . . ذكر الهمزة وحدها ورد الألف اللينة إلى أصلها الواوي أو اليائي . حذف المشتقات القياسية ونبه على كثير من الأمور اللغوية .

رئيس المجلس العلمي جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة رقم (4): الخصائص لابن جني

1 . التعريف بابن جني

هو أبو الفتح عثمان بن جني، ولد بالموصل وتوفي عام (392هـ). وقد أخذ النحو عن الأخفش، أما أستاذه بحق فهو أبو علي الفارسي؛ إذ صحبه ابن جني أربعين عاما.

وقد روى ابن جني عن الأعراب الفصحاء الثقاة شأن علماء عصره، فكان راوية ثعلب، وروى عن المبرد وعن أبي الفرج الأصفهاني.

وقد كان ابن جني من أتباع المذهب البصري، ولكن في الغالب كان يأخذ بالرأي الذي يقتنع به أيا كان مصدر هذا الرأي، ففي الخصائص يُكثر النقل عن الكسائي وثعلب وقد يقف موقفا وسطا بين المذهبين البصري والكوفي ويأخذ بالمذهب البغدادي.

وقد كان ابن جني حجة في علم التصريف، وقد مكنه علمه هذا من أن يضع يده على الأخطاء التي وردت في أمهات المعاجم ومنها كتاب العين للخليل، والجمهرة لابن دريد.

وبلغت مؤلفات ابن جني تسعة وأربعين كتابا ومنها: سر صناعة الإعراب، تفسير ديوان المتنبي الكبير، تفسير معاني ديوان المتنبي، اللمع في العربية، كتاب الألفاظ المهموزة، التهذيب، التلقين في النحو، ثم الخصائص.[1]

2 . كتاب الخصائص

كما يتّضح من عنوانه يبحث في خصائص اللغة العربية، وإن اشتمل على مباحث تتصل باللغة بصفة عامة مثل: البحث في الفرق بين الكلام والقول، والبحث في أصل اللغة: أإلهام هي أم اصطلاح؟ أما بقية الأبحاث فتختصّ باللغة العربية: فلسفتها ومشكلاتها.

3 . الهدف من تأليف الخصائص

نصّ المؤلف على أنّ الهدف من تأليف كتابه ليس هو البحث في المشكلات اللغوية الجزئية، ولكنه البحث في مشكلاتها الكلية؛ أي في فلسفتها. يقول:" إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم؛ لأنّ هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه؛ وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ، وكيف سرت أحكامها في الأحناء والحواشي"[2]

وعلى الرغم من حرص المؤلف على أن ينصّ على أنّ الهدف من تأليفه هذا الكتاب ليس هو البحث الجزئي في اللغة، فإن الذين ترجموا له، عرفوا كتابه (الخصائص) بأنه كتاب يبحث في النحو والصرف. يقول

---

[1] - ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 241

[2] - الخصائص: 8/1

ابن الأنباري:" وأما أبو الفتح عثمان بن جني النحوي فإنه كان من حُذّاق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، صنّف في النحو والتصريف كتبا أبدع فيها، كالخصائص، والمنصف، وسر الصناعة...ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف"[1]

4 . طريقة ابن جني في بحث المسائل الصرفية والنحوية

إنّ ابن جني عندما يبحث في مشكلة صرفية أو مشكلة نحوية، لا يبحث فيها في حدّ ذاتها، ولكنه يتخذها منطلقا أو لنقل وسيلة للوصول إلى مشكلة لغوية أكبر. ومثال ذلك بحثه في الفرق بين القول والكلام. وهو يقدم هذا الباب بقوله:" هذا باب القول على الفصل بين الكلام والقول. ولنقدم أمام القول على فرق بينهما طرفا من ذكر أحوال تصاريفهما واشتقاقهما مع تقلب حروفهما، فإن هذا موضع يتجاوز قدر الاشتقاق ويعلوه إلى ما فوقه، وستراه فتجده طريقا غريبا، ومسلكا من هذه اللغة الشريفة عجيبا"[2]

وهنا نراه يشير إلى أنّ الموضوع لا يقف عند حدّ التصريف والاشتقاق، ولكنه يتجاوزه إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو الفرق بين ما ينطق به اللسان أحيانا فيسمى قولا، وما ينطق به أحيانا أو يكتبه القلم فيسمى كلاما. وهنا يبدأ بتصريف مادة (قَوَلَ) وذكر تقليباتها. فيجد هذه التقليبات تنحصر في: قلو، وقل، ولق، لقو، لوق. وعندئذ يأخذ في شرح هذه الألفاظ مستعينا بالتراث الأدبي العربي. فالأصل الأول (قول) وهو القول، وقد سمى بذلك لأن" الفم واللسان يخفان له، ويقلقان ويَمْذَلان به" [3]

والأصل الثاني (قلو) ومنه القِلو، وهو حمار الوحشي، وقد سمّي بذلك لخفته وإسراعه. والثالث (وقل) ومنه الوقل للوعل، وذلك لحركته. والرابع (ولق) بمعنى أسرع. والخامس (لوق) وقد جاء في الحديث الشريف:" لا آكل من الطعام إلا ما لوّق لي " أي ما نُحدم وأعملت اليد في تحريكه. والسادس (لقو) ومنه اللّقوة للعقاب، وقد قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها، ومنه اللّقوة، وهي الناقة السريعة اللقاح.[4]

فهذه الألفاظ جميعها يجمع بينها معنى (الخفوف والحركة).

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تصريف كلمة (كلم) وتحديد تقليباتها، وهي: كلم، كمل، لكم، ملك، وقد أهمل لمك. وعندما حاول أن يستخلص المعنى المشترك بين هذه التقليبات وجده الشدة والصلابة؛فالجرح هو الكلم للشدة التي فيه، والكلام ما غلُظ من الأرض، وكمل الشيء أي تم فأصبح أقوى وأشد، ومكل: منه بئر مكول أي نضب ماؤها واشتد جانبها. وملك: منه ملكت العجين، أي عجنته حتى اشتد وقوي، ومنه الملك الذي يعطى صاحبه القوة والغلبة.[5]

---

[1] - طبقات ابن الأنباري: ص 244
[2] - الخصائص 1 /5
[3] - نفسه:8/1
[4] - نفسه: 10/1
[5] - الخصائص 1 / 5 - 13

ويخلص ابن جني من هذا التحليل إلى أنّ الكلام هو اللفظ المستقل بنفسه، المفيد لمعناه" وهو الذي يسميه النحويون الجمل" أما القول" فأصله أنه كل لفظ مذل به اللسان تاما كان أو ناقصا" ولهذا فإنّ القرآن الكريم يقال عنه كلام الله وليس قول الله.[1]

ويظل ابن جني يعالج هذا الموضوع من كافة زواياه، مثيرا بذلك مشكلات لغوية ما تزال تعالج حتى اليوم في الأبحاث اللغوية الحديثة.

5 . اللغة وعالم اللغة من منظور ابن جني

لم تكن عقلية ابن جني عقلية حافظة ناقلة وحسب، بل كانت عقلية علمية جدلية لا تسلم بالأمر إلا بعد اقتناع وإن صدر عن كبار العلماء. فقد سلّم مع بعض علماء عصره بادىء الأمر بأنّ اللغة إلهام وتوقيف، ولكن هذا التسليم كان ظاهريا؛ إذ ظلّ الموضوع يلحّ عليه ليجيل الفكر فيه مرة أخرى. وهو في ذلك يقول:" واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول على فكري"[2] وهنالك صرح برأيه في أن اللغة لا يمكن أن تكون وضعية؛ لأنّ" المواضعة لا بدّ معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه، والمشار نحوه. والقدير سبحانه لا جارحة له فيصح الإيماء والإشارة بها منه"[3]

وهو رأي نحسُّ فيه بأثر المعتزلة في فكره.

إنّ عالم اللغة ينبغي من وجهة نظر ابن جني أن يناقش المشكلات اللغوية الجوهرية حتى يصل بها إلى حد الوضوح والإقناع؛ لأنّ هذا أساس كل مبحث أدبي وفلسفي. ولهذا فقد صرح بأنّ العلل اللغوية أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين" ألا ترى إلى قوة تنازع أهل الشريعة فيها، وكثرة الخلاف في مباديها، ولا تقطع فيها بيقين، ولا من الواضع لها، ولا كيف وجه الحكمة في كثير مما أريناه أنفا من حالها"[4] أما عالم اللغة فيجب عليه:" أن ينعم الفكر فيها ويكاس في الإجابة عنها"[5]

6 . نموذج تفرّد به ابن جني وأورده في كتابه الخصائص (باب في الاشتقاق الأكبر)

هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا، غير أنّ أبا علي ـ رحمه الله ـ كان يستعين به، ويُخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر. لكنه مع هذا لم يسمّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن. وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن. وذلك أنّ الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير. فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 343
[2] ـ الخصائص 1 / 47
[3] ـ نفسه: 1/ 45
[4] ـ نفسه: 1 / 53
[5] ـ نفسه: 54/1

اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى والسلامة، والسليم: اللذيغ؛ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة. وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره، كتركيب (ض ر ب) و(ج ل س) و(ز ب ل)على ما في أيدي الناس من ذلك. فهذا هو الاشتقاق الأصغر. وقد قدم أبو بكر ـ رحمه الله ـ رسالته فيه بما أغنى عن إعادته؛ لأنّ أبا بكر لم يأل فيه نصحا، وإحكاما، وصنعة وتأنيسا.[1]

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. وقد كنا قدمنا ذكر طرف من هذا الضرب من الاشتقاق في أول هذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجيء من تقليب تراكيبهما؛ نحو(ك ل م)، (ك م ل)، (م ك ل)، (م ل ك)، (ل ك م)، (ل م ك)، وكذلك (ق و ل)، (ق ل و)، (و ق ل)، (و ل ق)، (ل ق و)، (ل و ق)، وهذا أعوص مذهبا، وأحزن مضطربا. وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة، وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة.[2]

يقول ابن جني:" فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي ـ أين وقعت ـ للقوة والشدة. منها (جبرت العظم، والفقير) إذا قويتهما وشددت منهما، والجبر والملك لقوته وتقويته لغيره. ومنها (رجل مجرّب) إذا جرّبته الأمور ونجذته، فقوّيت متنه، واشتدّت شكيمته. ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه، وغذا حُفظ الشيء وروعي اشتدّ وقوي، وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذبومنها (الأبجر والبُجرة) وهو القويّ السرّة. ومنه قول عليّ صلوات الله عليه: إلى الله أشكو عُجَرى وبُجَرى، تأويله: همومي وأحزاني، وطريقه أنّ العُجرة كلّ عُقدة في الجسد، فإذا كانت في البطن والسُرّة فهي البُجْرة (والبَجرة) تأويله أنّ السّرة غلُظت ونتأت فاشتدّ مسُّها وأمرها. وفسّرا أيضا قوله عُجرى وبُجرى، أي ما أبدي وأُخفي من أحوالي. و(منه البُرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به وكذلك البَرَجُ نقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف، ومنها رجَّبت الرجل إذا عظُمته وقوّيت أمره. ومنه رجَب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كُرمَت النخلة على أهلها فمالت دعَموها بالرُجْبة، وهو شيء تُسند إليه لتقوى به. والراجبة: أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها. ومنها الرَبَاجي وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله، قال: " وتلقاه رباجيا فخورا "

إنّ كتاب الخصائص يقف بموضوعاته اللغوية العميقة، وأسلوبه المنطقي في الجدل وقفة شامخة بين كتب اللغة العربية بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إنه يضارع ما يظهر اليوم في الغرب من أبحاث لغوية جادة وعميقة.

---

[1] ـ الخصائص53/1

[2] ـ نفسه:58/1

رئيس المجلس العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة رقم (5): مقاييس اللغة لابن فارس

تمهيد:

أدرك المعجميون صعوبة البحث في معجم العين عن معاني الكلمات التي يستغلق فهمها على الباحث، كما شعروا من ناحية ثانية أنّ ترتيب مواد المعجم حسب النظام الألفبائي يخفف كثيرا من هذه الصعوبة نظرا لسعة انتشاره. ورأوا أيضا أنّ نظام التقليبات الذي ابتدعه الخليل أساس سليم لاستيعاب معظم مواد اللغة العربية، إن لم نقل جميعها. فأحبّوا أن يجمعوا بين ترتيب الألفباء العادي وبين نظام التقليبات الخليلي، فوُضع معجم الجمهرة لابن دريد على هذا الأساس وقد شكل هذا المعجم مع معجمي ابن فارس (المجمل) و(المقاييس) مرحلة متقدمة في فنّ ترتيب مواد المعجم سُمّيت مرحلة النظام الألفبائي الخاص.

1 . التعريف بابن فارس (ت 395هـ)

هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (941 . 1004) أحد أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين، أقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها. قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني والصاحب بن عباد وغيرهما. له مؤلفات عدة منها: معجم المقاييس، ومعجم المجمل، وكتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، والإتباع والمزاوجة.[1]

2 . دوافع ابن فارس لتأليف المقاييس

بعدما جُمعت اللغة وصُنّفت في كتب ذات موضوعات مختلفة في القرن الرابع، وتأثُّر الكثير من المعجميين أمثال القالي (البارع) والأزهري (التهذيب) والصاحب بن عباد (المحيط) وابن سيده (المحكم) بمنهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في ترتيب حروف المعجم وفقا لمخارج الحروف، تدبّر ابن فارس الأمر ورأى أن يُصنّف المادة اللغوية على نحو آخر بهدف الكشف عن مزيد من خصائص اللغة العربية، وإفادة الباحثين من بعده في هذا المضمار والكشف عن ستار عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة، وسمى هذه المعاني الأصول والمقاييس (ويسميها اللغويون الاشتقاق الأكبر). يقول في مقدمة معجمه:" إنّ للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا تتفرع منها فروع. وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألّفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل عن الأصول. والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدّرنا كل فصل بأصله الذي يتفرّع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه"[2]

---

[1] ـ الأعلام: 1 / 193

[2] ـ معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ، 1979 م،المقدمة، ص 3

ومعنى هذا أنّ فكرة مقاييس اللغة كانت هي المسيطرة على ابن فارس، وهو يعني بها المشترك بين صيغ اللفظ المختلفة، ومن ثمّ فقد سمى كتابه (مقاييس اللغة) على أنّ ابن فارس إذا كان قد نجح إلى حد كبير في استنباط المعنى المشترك بين صيغ المادة في الثنائي والثلاثي. فإنه عندما حاول تلك المحاولة في الألفاظ الرباعية أو الخماسية لم يتمكن من ذلك، ولهذا فقد حاول استنباط معاني هذه الألفاظ من خلال نظرية أخرى هي نظرية النحت، وهو يقول في ذلك:" اعلم أنّ للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تأخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ"[1]

3 . منهج ابن فارس في مقاييس اللغة

لقد أوضح ابن فارس هدفه من تأليف المقاييس في مقدمة معجمه، وأبان عن مراجعه،*ومنهجه في علاج المواد. أما منهجه فقد اتسم بما يلي:

أ . قسم معجمه إلى كتب تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء، ثم قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب أولها باب الثنائي المضاعف وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية. ثم رتب مواد كل باب حسب النظام الألفبائي العادي ووفقا لجذر الكلمة، مع فارق مهم هو أنه في القسمين الأولين(باب الثنائي المضاعف، وباب الثلاثي الأصول) كان يؤلف الحرف مع ما يليه في الألفباء، لا مع الهمزة أولا ثم مع الباء فالتاء فالثاء...الخ[2]

ففي كتاب الجيم مثلا لا يبدأ بتأليف حرف الجيم مع الهمزة ثم الباء...الخ بل بتأليفه مع الحاء فالخاء إلى أن يصل إلى الياء فيعود إلى تأليفه مع الهمزة ثم مع الباء...الخ. وهكذا نرى أنّ المواد التي ذكرها في كتاب الجيم، باب الثنائي المضاعف، هي على الترتيب التالي: جح . جخ . جد . جذ . جر . جز . جس . جش . حص . حض . حظ . جع . جف . جل . جم . جن . جه . جو . جأ . جب . جث.[3] وهو في باب الجيم والراء وما يثلثهما يكر مواده بالترتيب التالي: جرز . جرس . جرش . جرض . جرع . جرف . جرل . جرم . جرن . جرة . جرو . جري . جرب . جرج . جرح . جرد . جرذ.[4]

---

[1] - مقاييس اللغة: 1 / 328

* - يظهر أنّ ابن فارس رجع إلى خمسة كتب هي: العين للخليل وإصلاح المنطق لابن السكيت والجمهرة لابن دريد، وغريب الحديث والغريب المصنف لأبي عبيد. ينظر مقدمة المقاييس ص3

[2] - ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء مرتبا ترتيبا طبيعيا على نسق حروف الهجاء.

[3] - ينظر: المقاييس 1 / 405 - 425

[4] - نفسه: 1 / 441 - 452

ب . اهتم بفكرة الأصول أو الاشتقاق الأكبر، فأدار المادة كلها على أصل واحد، أو أصلين معا، أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة،[1] وإذا لم يجد لبعض المواد أصولا حكم عليها بالتباين،[2] أو التباعد،[3] أو الانفراد[4] أو عدم الانقياس.[5]

ج . اعتمد الاختصار فلم يذكر أسماء بعض اللغويين الذين اقتبس منهم وبخاصة الخليل وابن دريد وابن السكيت وأبي عبيد، ولم يشرح بعض الصيغ التي ذكرها مثل: الآدر والدسيس والزغبد...الخ وكان يشرح الكلمة أحيانا دون ذكرها. يقول مثل:" الدال والثاء كلمة واحدة وهو العطر الخفيف"[6] وهو يقصد(الدث)

د . تحرّى الألفاظ الصحيحة وتجنّب المشوبة، ونصّ على كل أصل من أصوله التي يرتضيها بالصحة، وعلى ما لا يرتضيه بالضعف أو الشذوذ. كما نصّ على المعرب والمبدل الحروف وغيرهما، ورد اللغات الضعيفة.[7]

هـ. اعتنى بالعبارات المجازية ونبّه عليها وصرّح عليها بأنها من المجاز أو المستعار أو المشبه أو المحمول. قال مثلا في مادة (دعو):" ويحمل على الباب مجازا أن يقال: دعا فلانا مكانُ كذا إذا قصد ذلك المكان، كأن المكان دعاه"[8] وقال في أول مادة (ذوق):" الذال والواو والقاف أصل واحد وهو اختبار الشيء من جهة الطعم ثم يشتق مجازا فيقال ذقت المأكول أذوقه ذوقا، وذقت ما عند فلان اختبرته"[9]

4 . أثره

ساهم (مقاييس اللغة) في طرح فكرة التقاليب الخليلية، وتنظيم الأبواب، وقدّم للمعجمات فكرتي الأصول والنحت اللتين أفاد منهما كثير من اللغويين الذين أتوا بعده خاصة الصاغاني في (العباب) ومرتضى الزبيدي في (تاج العروس). ولكن رغم ذلك لم يكن له تأثير مهم في تطور المعجم العربي، إذ لا نعرف لغويّا نهج نهجه في ترتيب مواد معجمه، ولعل ذلك يعود إلى أنّ المقاييس ليس معجما عاما للغة، إنما هو معجم خاص يدافع عن فكرة بعينها، فتشكل منهجه وفقا لهذه الفكرة.[10]

---

[1] ـ مقاييس اللغة: 1 / 8 -18 - 39 - 53 - 89 - 141 - 137 - 187 - 435

[2] ـ يقول مثلا: " اعلم أنّ الهمزة والجيم واللام تدل على خمس كلمات متباينة، لا يكاد يمكن حمل واحدة من جهة المقياس فكل واحدة أصل في نفسها وربك يفعل ما يشاء" ينظر: المقاييس 1 / 64

[3] ـ يقول مثلا: " الجيم والحاء والشين متباعدة جدا " ينظر: المقاييس 1/ 427

[4] ـ يقول مثلا:" الجيم والدال والفاء كلمات كلها منفردة لا يقاس بعضها ببعض وقد يجيء هذا في كلامهم كثيرا" ينظر: المقاييس 1/ 433

[5] ـ يقول مثلا:" الجيم والعين واللام كلمات غير منقاسة لا يشبه بعضها بعضا" ينظر: المقاييس 1/ 460

[6] ـ مقاييس اللغة:462/1

[7] ـ المعاجم اللغوية العربية ـ بداءتها وتطورها ـ ص 89

[8] ـ مقاييس اللغة:464/1

[9] ـ نفسه:465/1

[10] ـ المعاجم اللغوية ـ بداءتها وتطورها ـ ص 90.

5 . مآخذ على المقاييس

أهم المآخذ التي وُجّهت إلى المقاييس صعوبة ترتيبه، واضطرابه في تقسيم المواد بحسب أصولها، وعدم شرحه بعض الألفاظ، وعدم نسبة ما يقتبسه إلى صاحبه وتصرفه فيه لاختصاره.[1]

قائمة بأهم معاجم الترتيب الألف بائي مع أبرز سماتها[2]			
المنهج	**اسم المعجم**	**المؤلف ومكان ولادته**	**أهم سمات المعجم + ملاحظات**
ترتيب ألف بائي حسب أوائل الأصول المعتمد على ترتيب نصر بن عاصم لحروف المعجم: حيث تدرج الكلمات بحسب أول حروف الكلمة وثانيها وثالثها	**المقاييس + المجمل**	. ابن فارس أحمد قزوين (941 . 1004م) (231 . 395هـ)	. (المجمل):جعل لكل حرف كتابا وكل كتاب ثلاثة أبواب: الثنائي المضاعف والمطابق، الثلاثي، ما فوق الثلاثي . موجز الشرح .كان يبدأ بتأليف الحرف مع ما يليه في الألف باء، ولا يؤلفه مع الهمزة ثم مع الباء...الخ إلا بعد الانتهاء من الباء. . أما (المقاييس) فنهجه يشبه نهج شقيقه (المجمل) مع محاولة إيجاد لكل مادة من المواد اللغوية معنى مشتركا عاما أو أكثر يتضمن كل المعاني الفرعية التي نجدها في المادة اللغوية.
	أساس البلاغة	. الزمخشري محمد بن عمر . زمخشر . (1075 . 1144 م) (465 . 538 هـ)	. غايته التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للألفاظ خرق قاعدة ما سمي بعصر الاحتجاج (عصر الفصاحة) . اقتبس تعبيرات بأكملها من الكتب الأدبية لتوضيح استعمال المفردات ضمن السياق. . قدم الواو على الياء في الأبواب دون الواو.
	المصباح المنير	الفيومي سنة 770هـ	. معجم مختصر لألفاظ الفقه الشافعي.

[1] ـ المعاجم اللغوية ـ بداءتها وتطورها ـ ص 90.
[2] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية: ص 41 - 42

ترتيب ألف بائي حسب أوائل الأصول المعتمد على ترتيب نصر بن عاصم لحروف المعجم: حيث تدرج الكلمات بحسب أول حروف الكلمة وثانيها وثالثها	**محيط المحيط**	. بطرس البستاني الدبية . لبنان . (1819 . 1882م) (1209 . 1272هـ)	. روى كالزمخشري لشعراء متأخرين عن عصر ما بعد الاحتجاج. . حافظ غالبا على عبارة الفيروز أبادي. . صدر كل باب بكلمة عن الحرف المعقود له الباب. . نبه على باب كل فعل. . قسم كل صفحة إلى نهرين واضعا كلمتين في أعلى الصفحة. . اختصر في قطر المحيط.
	أقرب الموارد	. سعيد الشرتوني (شرتون لبنان) . 1819 . 1912 م . . 1209 . 1302 هـ.	. استعمل بعض الرموز التي تدل على مفاتيح لنطق الكلمات. . طبع المفردات المراد شرحها بنموذج أكبر. . قسم كل صفحة إلى ثلاثة أنهر واضعا في أعلاها ثلاث كلمات. . تجنب تكرير اللفظ واضعا في مكانه خطا أفقيا ليدل عليه.
	البستان	. عبد الله البستاني (الدبية) . 1854 . 1920 م . . 1244 . 1310 هـ.	. مادته هي مادة المحيط مع زيادة بعض المعاني والكلمات والتعليلات العبارات عن تاج العروس. . أثبت فيه كثيرا من أسماء المخترعات والمصطلحات العلمية الجديدة. . اختصره بفاكهة البستان.

ترتيب ألف بائي حسب أوائل الأصول المعتمد على ترتيب نصر بن عاصم لحروف المعجم: حيث تدرج الكلمات بحسب أول حروف الكلمة وثانيها وثالثها	**المنجد**	. لويس معلوف . زحلة . (1876 . 1946 م) (1257 . 1236هـ)	. من المعاجم العربية المدرسية الحسنة الترتيب والشكل والإخراج ـاستعمل الصور . . حذف الشواهد والروايات. . رقم معاني مشتقات المادة الواحدة. . أكثر من الاعتماد على محيط المحيط. . أضاف على المعاجم القديمة بعض الجزئيات من المعاجم الأجنبية، واستدرك على ملحقه في الأعلام بعض المغالطات.
	المعجم الوسيط والوجيز والكبير	. مجمع اللغة العربية في القاهرة (1962 . 1980 . 1933 م	. اعتنى بالترتيب فقدم الأفعال على الأسماء والمجرد على المزيد واللازم على المتعدي والمعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على المجازي. . اكتفى من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة. . قاس فيما قصر أمره على السماع. . أدخل في متنه كثيرا من الألفاظ المولدة والمعربة. . أقبل الناس على اقتنائه واستخدامه، نقده عدنان الخطيب.
	المعجم	. عبد الله العلايلي (بيروت) . 1914 . 1995 م . . 1304 . 1416 هـ.	. تتبع دلالة اللفظ في مختلف العلوم. . عيّن المولد القديم والحديث والمعرب الدخيل. . وضع من عنده بعض المفردات. . أثبت المصطلح الأجنبي المقابل بحرفه. . أثبت في ذيل الصفحات أهم الاصطلاحات التي استعملها. . وضع المزيد الغامض في محله من الزيادة.

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم (6): لسان العرب لابن منظور

تمهيد:

اتّفق الباحثون على أنّ لسان العرب معجم موسوعي ضخم، خالف معاجم السابقين في أمرين؛ هما عدوله على نهج الانتقاء من مواد المصادر السابقة إلى حشد واستقصاء كل ما ورد في كل مادة من لغة وأدب وتفسير وقراءات وحديث وفقه وغير ذلك، مخالفا بذلك ما عرف به طوال حياته من اختصار الكتب المطولة التي صنفت قبله. وكذلك عدم ادعائه النقل عن الأعراب الفصحاء مشافهة كما فعل الرواد الأوائل في القرن الثاني الهجري، بل اعتمد على خمسة مصادر اعتمادا كاملا، جمع منها في معجمه أفضل ما فيها من مادة، وواءم بينها، فضمّ ما اتفقت فيه وفصل ما تفرد به كل مصدر منها.

1 . التعريف بابن منظور:

هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري، ولد في المحرم من سنة 630هـ، كان يميل إلى قراءة كتب الأدب، فاستوعب أكثرها، وحاول اختصارها، وخاصة المطول منها كالأغاني والعقد والذخيرة وتاريخ دمشق. يقول الصفدي:" لا أعرف في الأدب وغيره كتابا مطولا إلا وقد اختصره"[1] لذلك تضخم كتاب لسان العرب لما دخله من الاستطراد والشواهد والاستعانة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما استوعبه من هذه المطولات. توفي سنة 711هـ.

ويقول الشدياق معلقا على تضخم اللسان:" إنه كتاب لغة ونحو وصرف وشرح للحديث وتفسير للقرآن"[2]

2 . دوافع ابن منظور لتأيف لسان العرب

يقول ابن منظور في مقدمته:" وإني لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللغة والاطلاع على تصانيفها وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع"[3]

ومعنى هذا أنه شاء بوضعه هذا المعجم أن يجمع بين الحسنيين: بين إحسان الجمع وإحسان الوضع؛ أي بين الاستقصاء في المادة وسلامة العرض. وقد ضرب مثلا بتهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، على كتب اللغة التي توافرت في مادتها الدقة والإتقان ولكن عابها سوء الترتيب واختلاط التبويب. ومن جهة أخرى ضرب مثلا بصحاح الجوهري على حسن الترتيب والنظام، وإن كان من حيث المادة مختصرا، فضلا عما فيه من الخطأ والتصحيف.

---

[1] ـ مصادر اللغة: ص 682

[2] ـ نفسه: ص 683

[3] ـ مقدمة اللسان، ابن منظور، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص 7

ومن ثمّ جعل ابن منظور بين يديه خمسة مصادر من هذه الكتب، جمع منها في معجمه أفضل ما فيها من حيث المادة والترتيب. وهذه المصادر الخمسة هي: التهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحواشي ابن بري على الصحاح، والنهاية لأبي السعادات بن الأثير. وعلى هذه المصادر كان معوله في تصنيف معجمه. وكأنه قام بعملية توفيقية بين هذه المعاجم. وهو نفسه يقول:" فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق...فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع. وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول: شافهت أو سمعت، أو فعلت أو صنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت، فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا."[1]

فإذا عرفنا الآن هذه الحقيقة لم نعجب حين نجد (اللسان) قد طال حتى صار في عشرين جزءا، حيث شاء صاحبه أن يستوعب فيه ما اتفقت فيه تلك المصادر الخمسة وما تفرد به كل مصدر منها.

وهكذا لم يكن ابن منظور مبتكرا في معجمه لشيء، أو مضيفا لشيء، سوى أنه جعل من معجمه خزانة .كما يقول . للغة. ومن ثمّ فإنه يعفي نفسه من كل مسئولية علمية في هذا المعجم سوى صحة النقل عن المصادر.

3 . منهج ابن منظور في لسان العرب

اشتمل معجم لسان العرب على 80 ألف مادة، وعلى عدد من المشتقات يصعب إحصاؤه. وقد بدأه بمقدمة افتتحها بتحميد وصلاة، ثم ذكر شرف اللغة العربية وارتباطها بالقرآن ثم نقد (التهذيب) و(المحكم) و(الصحاح). ثم وصف منهجه والدافع إلى وضع معجمه. وبعد المقدمة أثبت بابا في تفسير الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن،مثل: ألم، ص، ق،...الخ مخالفا الأزهري الذي وضعه في نهاية معجمه، وإن اعتمد في معظمه على ما أورده الأزهري. وبابا آخر تحدث فيه عن ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها، وقد اعتمد فيه على علماء اللغة والنحو السابقين. أما منهجه فيتسم بما يلي:

أ ـ اتبع ابن منظور نظام القافية الذي ابتكره الجوهري . رغم طول المدة بينهما ورغم ظهور بعض المعاجم التي اتبعت الترتيب الهجائي العادي(أي أوائل الكلمات) مثل: المجمل لابن فارس، وأساس البلاغة للزمخشري . وقد صرح بذلك في مقدمته حين قال:" ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول، لحسن تبويبه وسهولة تأتيته" معنى ذلك أنه جعل الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية (أي الحروف الأصول بعد تجريدها من الزوائد) الباب، ثم روعي ترتيب حروف الهجاء (ء، ب، ت، ث، ج،...الخ) في الحرف الأول (الفصل) وما يليه. فالكلمات: عدل، غزل، فضل، قتل، كفل،...هزل، نجدها جميعا في باب اللام، وفصول: العين،

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 376 - 377

والغين، والفاء، والقاف، والكاف...والهاء على التوالي. وتوضح الكلمة الأخيرة تقديم ابن منظور فصل الهاء على الواو خلافا للجوهري الذي قدم فصل الواو على فصل الهاء. وتمثل الهمزة الأصلية أو المنقلبة عن واو أو ياء مشكلة في ترتيب المعاجم ولذا نجد ابن منظور يؤثر صنيع الجوهري، فيجعل باب الهمزة للكلمات المنتهية بالهمزة الأصلية (غير المنقلبة عن واو أو ياء) مثل: رزء، فىء،...، وجمع الكلمات المنتهية بواو أو ياء سواء بقيتا على حالهما أو تحولتا (بسبب الإعلال أو الإبدال) ألفا لينة أو همزة في باب واحد. وجعل الباب الأخير للكلمات المنتهية بالألف اللينة غير معروفة الأصل، ويلاحظ هنا أنّ كل باب يبدأ بحديث يختلف في الطول والقصر عن الحرف المعقود له الباب.

ب . بلغ عدد المواد اللغوية التي ضمها معجم لسان العرب ثمانين ألف مادة. سار في ترتيبها وفق المصدر الذي ينقل عنه، يبدأ بالمادة المجردة ثم ينتقل إلى مشتقاتها، وليس له نهج مطرد في البدء، فقد يبدأ بالفعل أو بالاسم، ولكنه حين يعرض لمادة معينة لها أكثر من دلالة فإنه لا يخلط بينها. وإنما التزم أن أن يأتي على مشتقات المادة وصورها لمعنى بعينه، فإذا فرغ منه انتقل إلى المشتقات والصور التي تُؤدى المعاني الأخرى، معنى بعد آخر، وهو في تتبعه لسائر الصور والاشتقاقات يستطرد في الاستشهاد، ويطيل في الحشو على نحو يؤدي إلى اضطراب صيغ المادة وتفرق تفسيرها، غير أنه في أغلب مواده يحسن جمع مشتقات المادة وتصريفاتها وتنسيق شروحه وتعليقاته.[1]

ج . اهتم بأشعار العرب، وباللغات، وبالقراءات، وبالنوادر، وبقواعد اللغة، كما أكثر من ذكر أسماء الرواة الذين اقتبس عنهم، مما جعل كتابه أشبه بالموسوعة اللغوية منه بالمعجم كما يقول أحمد فارس الشدياق.[2]

د . جمع مادته . كما يصرح في مقدمة معجمه .[3] من خمسة كتب هي: تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحواشي ابن بري، والنهاية لابن الأثير وكان همه منصرفا إلى تدوين ما في المعاجم السابقة دون إبداء رأيه أحيانا كثيرة، حتى أنه يعيد الأخطاء الواردة في معجمه إلى المصادر التي نقل عنها.[4]

هـ صدّر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب، ذاكرا فيها مخرجه[5] وأنواعه وخلاف النحويين فيه وائتلافه مع غيره.[6]

---

[1] ـ المدخل إلى مصادر اللغة العربية: ص 305.

[2] ـ الجاسوس على القاموس، فارس الشدياق، دار صادر، بيروت، 1299هـ، ص 79.

[3] ـ مقدمة لسان العرب ص 7 - 8

[4] ـ يقول ابن منظور في مقدمة معجمه (ص 8):" فمن وقف فيه على صواب، أو زلل، أو صحة، أو خلل، فعهدته على المصنف الأول"

[5] ـ يقول مثلا في حديثه عن الهمزة:" إنها كالحرف الصحيح غير أنّ لها حالات في التليين والحذف والإبدال والتحقيق تعتل، فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف، وليست من الجوف إنما هي حلقية من أقصى الفم" ينظر: لسان العرب 1/ 17

[6] ـ يقول مثلا في صدر حرف العين:" العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة مثل حيّ على فيقال حيعل" ويقول في صدر باب القاف:" العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف جرسا وألذها سماعا" ينظر: لسان العرب 8/ 3

و . أكثر من الشواهد على المعاني المختلفة يسوق في ذلك نصوصا من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والأمثال، والخطب.

ز . دوّن كل ما وقف عليه من المواد ومشتقاتها، ويبدو أنّ ابن منظور كان يرى أنّ المعجم يجب ألاّ يقتصر على تدوين الصحيح فقط كما فعل الجوهري في الصحاح بل من حقّ جميع المفردات العربية أن تسجل فيه.

4 . أثره

أقبل الناس على (لسان العرب) يقتنونه، كما أقبل عليه بعض اللغويين، يعيدون طباعته مرتبين مواده حسب أوائل حروفه الأصول. ووضعت بعض الدراسات حوله (كتصحيح اللسان) لأحمد تيمور باشا (1871 . 1930) و(تهذيب اللسان) لعبد الله إسماعيل الصاوي. كما تتبع أخطاءه بعض اللغويين كتوفيق داود قربان، وعبد الستار أحمد فراج.[1]

5 . مآخذ على لسان العرب

من أهمّ المآخذ التي وُجّهت إلى لسان العرب الفوضى المستشرية داخل مواده،[2] وتركه بعض الصيغ والمعاني التي يوردها أحد مراجعه، واقتصاره في المراجع على التهذيب، والمحكم، والصحاح، والتنبيه، والنهاية، وإهمال غيرها، مما أدى إلى أن يفوته كثير من الصيغ والمعاني والشواهد.[3]

قائمة بأهم معاجم الترتيب الهجائي مع أبرز سماتها[4]			
المنهج	**اسم المعجم**	**المؤلف ومكان ولادته**	**أهم سمات المعجم + ملاحظات**
ألف بائي حسب الحرف الأخير من الكلمة (نظام القافية)	**الصحاح**	. إسماعيل الجوهري فاراب (تركيا) (1003 . 1095 م) (340 . 393هـ)	. سمى الحروف أبوابا، وقسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا. . جمع الواو والياء في باب واحد. . أشار إلى الضعيف والرديء والمتروك من اللغات وإلى العامي والمولد والمعرب. . طُبع مؤخرا مرتبا حسب أوائل الأصول (الصحاح في اللغة والعلوم)

[1] ـ المعاجم اللغوية العربية ـ بداءتها وتطورها ـ ص 117 - 118

[2] ـ فإذا نظرنا مثلا إلى الصيغ الواردة في مادة (ع ر ب) نجد أنه يبدأ بالاسم (عرب، عرباء، أعرابي، عروبية، عربة) ثم بالفعل (عرّب، استعرب) ثم يعود إلى الاسم على غير نظام دقيق. كما أنه يبدأ المادة بالاسم أحيانا (كما في مادة (ع ر ب) وبالفعل أحيانا أخرى كما في مادة (ركب) هذا بالإضافة إلى تكرير الشواهد والصيغ المختلفة. ينظر: المعاجم اللغوية العربية ـ بداءتها وتطورها ـ ص 117

[3] ـ المعاجم اللغوية العربية ـ بداءتها وتطورها ـ ص 117

[4] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية: ص 40.

ألف بائي حسب الحرف الأخير من الكلمة (نظام القافية)	**لسان العرب**	ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (مصر) (1232 . 1311 م) (630 . 711هـ)	. أضخم معجم موسوعي إذ اهتم بأشعار العرب واللغات والقراءات والنوادر وقواعد اللغة. . أكثر من الشواهد. . له تهذيبان وقد طبع مؤخرا مرتبا حسب أوائل الكلمات (لسان العرب المحيط)
	القاموس المحيط	الفيروز أبادي محمد بن يعقوب (كارزين / إيران) (1339 . 1415م) (719 . 817هـ)	. انتقد الصحاح ووضع خطا فوق كل مادة زادها عليه. . حذف أسماء الرواة وأبيات الشواهد. . اتبع نظاما خاصا في التشكيل مستعملا بعض الاصطلاحات. . انتقده الشدياق في (الجاسوس على القاموس). . طبع حديثا حسب أوائل الكلمات (مختار القاموس للطاهر الزاوي)
	تاج العروس	الزبيدي مرتضى (زبيد اليمن) (1732 . 1790م) (1122 . 1205هـ)	. أضخم معجم عربي. . اعتبر القاموس متنا ثم شرحه على نظام الشروح التي أتبعها المؤلفون في عصره جامعا ما تفرق في مؤلفات سابقيه. . ذكر الشواهد والموارد التي أغفلها القاموس. . بدأت الكويت منذ 1965م على إعادة طبعه محققا، صدر في أربعين مجلدا عام 2001م.

المحاضرة رقم (7): المجامع الشعرية القديمة
(المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب)

رئيس المجلس العلمي

تمهيد:

بعد عملية الجمع الواسعة التي قام بها الرعيل الأول من الرواة من أمثال عمرو بن العلاء، وحماد راوية الشعر الجاهلي والإسلامي اتجه الجيل الثاني في عملية التدوين والتصنيف إلى ثلاثة اتجاهات:

. تصنيف دواوين الشعراء من الجاهليين والإسلاميين.

. تصنيف دواوين القبائل.

. اختيار أروع ما تضمنه الشعر الجاهلي والإسلامي من قصائد ويصنف ذلك في منتخبات أو مختارات.

والمنتخبات أو المختارات هي مصنفات شعرية تختلف من حيث المنهج والغاية عن الدواوين؛ إذ لا تعتني بجمع شعر شاعر واحد أو شعر قبيلة إنما هي مجموعة أشعار يصدر جامعها من مبدأ أساسي وهو أن تكون قصائدها طرازا عاليا من الشعر، أو مصورة للمثل الأعلى الشعري في غرضها لذلك تقسم المنتخبات من حيث منهجها وأسلوب تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

. قسم يعتمد على مقياس الجودة للاختيار دون التقيد بأي تصنيف موضوعي.

. قسم يلتزم منهج الغرض أو الموضوع في التصنيف.

والجدير بالذكر أنّ الغاية من المنتخبات لم تكن جمع الشعر وضبطه، بل كانت في الغالب تنتخب من مجموع المادة الشعرية المدونة، وكانت هذه المادة المدونة منذ البداية هي أشعار الجاهليين والإسلاميين لذلك فإنّ من الطبيعي أن تتناول المختارات الأولى الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي.

ويبدو أنّ لهذه المجموعات فائدة تختلف عن فائدة الدواوين؛ لأنّ الديوان ضيق الأفق، ويختص بموضوع محدد إذ يفيد في دراسة شاعر بذاته أما المختارات فهي أوسع أفقا تتنوع موضوعاتها ويتعدد شعراؤها، فتصويرها للحياة الفنية أكمل، كما أنها تدل على ذوق العصر الذي تصنف فيه، وعلى ذوق مؤلفها، ومن أشهر المصنفات:

أولا . المفضليات:

تُنسبُ هذه المختارات إلى المفضل الضبي . وتاريخ ميلاده غير معروف . وإن كان المرجح أن يكون ميلاده في أواخر العقد الأول من القرن الثاني. توفي عام 178هـ.

والمفضل الضبي من جيل الرواة العلماء الأول، وهو رأس مدرسة الكوفة، ولكنه ورد كذلك على البصرة فأخذ عنه علماؤها. قال ابن سلام الجمحي:"وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي"

كان راوية عالما بأخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها، وقد أخذ عنه كثيرون وفي مقدمتهم: الفراء، والكسائي، وابن الأعرابي، وإليه ينتهي إسنادُ كثير من الروايات الشعرية لدواوين الشعراء ودواوين القبائل على السواء.[1]

1 . اختيار المجموعة الشعرية

أما كيف اختار المفضل الظبي القصائد فلذلك قصة.

فقد كان بن علي بن أبي طالب قد خرج في البصرة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وخرج معه كثير من العلماء منهم المفضل، ولكن المنصور ظفر بإبراهيم أخيرا ونكل به وبأهله، وكان إبراهيم يتخفى ذات مرة عند المفضل، وكان المفضل يتركه ويخرج وفي إحدى المرات كان عليه أن يخرج إلى ضيعة له لبضع أيام فقال له إبراهيم: إنك إذا خرجت ضاق صدري، فأخرج إليّ شيئا من كتبك أتفرج به، فأخرج المفضل إليه كتبا في الشعر والأخبار يقال إنها كانت ملء قمطرين. فلما عاد وجده قد علّم سبعين قصيدة اختارها. وكان له ذوق حسن في الشعر، ويبدو أنّ المفضل استخرج هذه القصائد السبعين ثم زاد عليها عشرا فيما بعد. فإنه عندما ظفر المنصور بإبراهيم ظفر كذلك بالمفضل، ولكنه عفا عنه، وألزمه ابنه وولي عهده المهدي يؤدبه. وقد قدم المفضل لتلميذه القصائد الثمانين فقرأها هذا عليه، ثم قرئت هذه القصائد نفسها على المفضل بعد ذلك ونُسبت إليه وعرفت باسمه.

وتضمّ النشرة العلمية للمفضليات مائة وثلاثين قصيدة (130)، وقد كان المعروف منها إلى عهد ابن النديم مائة وثمانية وعشرين (128) قصيدة قد تزيد وقد تنقص.

ومعظم شعراء هذه المجموعة جاهليون، وقليل منهم مخضرمون، وأقل منهم إسلاميون.

وتضمّ هذه المجموعة أربعين (40) مقطوعة لا يزيد عدد أبيات كل منها عن عشرة، وثلاثا وأربعين قصيدة (43) قصيدة يتراوح عدد أبيات كل منها بين 11 و20 بيتا، و إحدى وعشرين (21) قصيدة تتراوح بين (21) و (30) بيتا، وعشر قصائد (10) قصائد تتراوح بين (31) و(40) بيتا، وسبع قصائد (7) تتراوح بين (41) و(50) بيتا، وثماني (8) قصائد مطولات تتراوح بين (51) و(108) بيتا وأطول قصيدة في هذه المجموعة هي قصيدة (سُويد بن أبي كاهل) وعدتها مائة وثمانية (108) أبيات.[2]

ومن الواضح أنّ هذه المجموعة تضمّ العدد الأكبر من القصائد الكاملة؛ بل لعلّ القصائد الكاملة هو هدفها الأول.

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 71

[2] ـ نفسه: ص 72 - 73

وإلى جانب عمدِ المفضل إلى اختيار القصائد لا نجده يورد للشاعر الواحد أكثر من ثلاث قصائد إلا في النادر. وهذا معناه أنه لم يقيد نفسه بعدد ثابت مما يختاره من كل شاعر؛ بل كان يتحرك في شعره بحرية فيختار أفضل ما عنده، وكذلك لم يحدد المفضل اختياره بالأشعار التي قيلت في موضوع أو مواضيع بعينها؛ بل كان طليقا في هذا الاختيار.

2 . قيمة المفضليات:

للمفضليات قيمة تاريخية وأدبية كبيرة ولم يكن رواجها بين الناس في عصر المفضل وفي العصور التالية إلا نتيجة لاستشعار الناس هذه القيمة.

أما من الناحية التاريخية فإنه أول كتاب كبير يضم مختارات من عيون الشعر القديم، الجاهلي، والمخضرم، والإسلامي بروايات موثوق بها.

وأما من الناحية الأدبية فإنها تضم قصائد كاملة كانت تُعدُّ أروع ما في الشعر القديم من قصائد؛ أي أنها تعكس لنا المثل الشعري الأعلى في التصور والذوق العربي.

وللأهمية التي بلغتها المفضليات ظفرت في عصر الشروح باهتمام كثير من الشراح، وأول من شرحها الأنباري (ت 305 هـ) ويليه شرح أبي جعفر النحاس (ت 338 هـ) ثم شرح أبي علي المرزوقي(ت 421 هـ)[1]

ثانيا: الأصمعيات

الأصمعيات هو الكتاب الذي ينسبُ إلى الأصمعي المولود سنة 122 أو 123 هـ وتوفي بالبصرة سنة 216هـ، وهو من الرعيل الأول من الرواة العلماء بالبصرة، غزير المحفوظ والرواية، عالم بالشعر لا يشق له غبار. وقد سمع من أبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية وحماد بن زيد وغيرهم من الرواة العلماء، كما سمع من الأعراب ومن الشعراء مباشرة، وقد كان من الطبقة الأولى من الرواة العلماء الذين ينتهي عندهم الإسناد في كثير من الأحيان.

والمؤلفات التي تروى للأصمعي كثيرة . سوى الأصمعيات . وقد طُبع منها: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الإبل، كتاب الشاء، كتاب الأضداد، كتاب القلب والإبدال، كتاب فحولة الشعراء.[2]

1 . اختيار المجموعة الشعرية:

الأصمعيات كتاب على نسق المفضليات، يضمّ مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي.

تبلغ اثنين وتسعين قصيدة ومقطعة لواحد وسبعين شاعرا منهم أربعة وأربعون (44) شاعرا جاهليا وهم الأغلبية، وأربعة عشر (14) شاعرا مخضرما، وستة (6) شعراء إسلاميين وسبعة (7) مجهولون.

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص 75 - 76

[2] ـ نفسه: ص - 77 - 78

ومن مجموع هؤلاء الشعراء أربعة وخمسون (54) شاعرا أورد الأصمعي لكل منهم نموذجا واحدا، وأربعة عشر (14) شاعرا أورد لكل منهم نموذجين، وشاعران أورد لكل منهما ثلاث (3) قصائد.

ومن القصائد والمقطعات الاثنتين وتسعين (92) التي تضمها الأصمعيات اثنتان وأربعون (42) مقطعة تتراوح الأبيات فيها بين بيتين وعشرة، وعشرون (20) قصيدة تتراوح الأبيات فيها بين 11 و20 بيتا، وثماني عشرة (18) قصيدة تتراوح الأبيات فيها بين21 و30بيتا، وعشر (10) قصائد تتراوح بين 31 و40 بيتا، وقصيدتان اثنتان إحداهما 43 بيتا والأخرى 44 بيتا. ومجموع أبيات الأصمعيات 1442 بيتا وهي تزيد قليلا عن نصف عدد أبيات المفضليات.[1]

وبتحليل هذه الأرقام جميعا يتضح لنا أنّ الأصمعي سار على نهج المفضل في الاهتمام بالشعر الجاهلي؛ ولكن نسبة عدد المقطعات عنده كبيرة، هذا فضلا عن أنّ أطول قصائد الأصمعي لم تتجاوز أربعة وأربعين (44) بيتا، في حين نيفت بعض قصائد المفضليات على مائة (100) بيت، وتجاوز عدد لا بأس منها خمسين (50) بيتا.

ولعل هذا ما جعل ابن النديم يصف الأصمعيات بأنها ليست بالمرضية عند العلماء، معللا ذلك بقلة ما فيها من الغريب، وباختصار روايتها.

وأمام التداخل الكبير بين المفضليات والأصمعيات؛ ولأنّ النسخة الخطية التي طبعت عنها الطبعة الأوربية من الأصمعيات، وكذلك المخطوطة التي طبعت عنها طبعة دار المعارف مصر ليس بهما إسناد يوضح طريق روايتهما عن الأصمعي فليس هناك ما يدل على أنّ الأصمعي قد قصد قصدا إلى تصنيف مجموعة من القصائد يختارها على غرار ما صنع المفضل، وأنه قصد إلاّ التوسع في مجموعة المفضل.[2]

2 . قيمة الأصمعيات:

أيا كانت الحقيقة فإنّ الأصمعيات لم تبلغ شهرة المفضليات، ولم تظفر في عهد الشروح باهتمام الشراح مثلما حدث بالنسبة للمفضليات.

على أنّ الأصمعيات تشتركُ مع المفضليات في خلوها من أيّ إشارة إلى أسباب الاختيار ووجه التفضيل لما تضمنت من أشعار.[3]

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: ص78

[2] ـ نفسه: ص 78 - 79

[3] ـ نفسه: ص 79

ثالثا: جمهرة أشعار العرب

مُؤلّفها هو أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، وهو شخصية لا تكاد تذكر المصادر شيئا عن حياته أو أعماله، ويرجح الباحثون أنه عاش في القرن الثالث الهجري أو القرن الرابع على اختلاف فيما بينهم في تحديد سنة وفاته، ولا نعرف له غير كتابه الجمهرة.[1]

1 . اختيار مضمون الجمهرة:

يعتمد أبو زيد على الاختيار أيضا مثلما فعل قبله المفضل الضبي والأصمعي، ولكنه يختلف عنهما في أمرين مهمين:

أ . أنه قدم لكتابه بمقدمة يذكر فيها اختصاص العرب بالشعر، واتفاقهم على اختيار سبع من قصائدهم جعلوها في المرتبة الأولى يليها سبع أخرى في المرتبة الفنية.

ب . أنه اتخذ تقسيما طبقيا هندسا سباعيا لاختياراته؛ فقد قسم النصوص إلى سبع طبقات متوالية، وضمّن كل طبقة منها سبع قصائد لسبعة شعراء، وقدّم لكل شاعر بما وصل إليه من أخباره وتفصيل العرب له في طبقته وجعل لكل طبقة اسما دالا على هذه المرتبة.[2]

2 . مميزات كتاب الجمهرة:

يتميز كتاب جمهرة أشعار العرب عما تقدمه من مصنفات بأمرين، وهما:

مقدمة الكتاب النقدية، والتبويب الدقيق.

أ . مقدمة الكتب:

يقول القرشي:" هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نزل القرآن بألسنتهم، واشتقت العربية من ألفاظهم، واتخذت الشواهد في معاني الحديث من أشعارهم، وأسندت الحكمة والآداب إليهم، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي؛ وذلك أنه لما لم يوجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطرا إلى اختلاس من محاسن ألفاظهم، وهم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم.

وبعد فهم فحول الشعراء الذين خاضوا بحره، وبعُد فيه شأوهم، واتخذوا له ديوانا كثرت فيه الفوائد عنهم، ولولا أن الكلام مشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم، فأخذنا من أشعارهم . إذ كانوا هم الأصل . غررا من العيون من أشعارهم، وزمام ديوانهم"[3]

---

[1] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: ص 113

[2] ـ نفسه: ص 113

[3] ـ جمهرة أشعر العرب في الجاهلية والإسلام: أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، دط، دت، ص11

يقارن القرشي بعد الاستهلال بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ويبين بأن القرآن الكريم لم يأتِ بلغة جديدة، وأنّ كل ما فيه من مجاز غريب قد استعملته العرب يقول:" ونحن ذاكرون في كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار المنقولة والأشعار المحفوظة عنهم، وما وافق القرآن من ألفاظهم"[1]

يذكر القرشي في مقدمة الجمهرة رأي النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر، يقول:" ...وما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعر والشعراء، وما جاء عن أصحابه والتابعين من بعدهم، وما وصف به كل واحد منهم..."[2]

يتحدث القرشي عن أول من قال الشعر، ونسب أبياتا إلى سيدنا آدم، وإلى إبليس، وبعض الجن، يقول:"وأول من قال الشعر، وما حفظ عن الجن، وما توفيقي إلا بالله..."[3]

ب . أقسام الكتاب:

قيّد القرشي اختياره باختيار قصيدة واحدة لكل شاعر من الطبقات السبع، فبلغ مجموع القصائد تسعا وأربعين قصيدة لتسعة وأربعين شاعرا.

قسّم القرشي محتويات مختاراته إلى سبع طبقات متدرجة زمانيا، وقد وضع في كل طبقة سبعة قصائد:[4]

الطبقة الأولى: أصحاب المعلقات وهم:

امرؤ القيس، وزهير، والنابغة الذبياني، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد.

الطبقة الثانية: أصحاب المجمهرات* وهم:

عنترة بن شداد، وعبيد بن الأبرص، وعدي بن زيد، وبشر بن أبي خازم، وأمية بن أبي الصلت، وخداش بن زهير، والنمر بن تولب.

الطبقة الثالثة: أصحاب المنتقيات وهم:

المسيب بن علس، والمرقش الأصغر، والمتلمس، وعروة بن الورد، والمهلهل بن ربيعة، ودريد بن الصمة، والمنتخل الهذلي.

الطبقة الرابعة: أصحاب المذهبات وهم:

حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومالك بن عجلان، وقيس بن الحطيم، وأحيحة بن الجلاح، وأبي قيس بن الأسلت، وعمرو بن امرىء القيس.

الطبقة الخامسة: أصحاب المراثي وهم:

---

[1] ـ جمهرة أشعر العرب في الجاهلية والإسلام: ص11

[2] ـ نفسه: ص11

[3] ـ نفسه: ص11

[4] ـ نفسه: ص 807 - 808

أبو ذؤيب، ومحمد بن كعب الغنوي، وأعشى باهلة، وعلقمة ذو جدن الحميري، وأبو زيد الطائي، ومتمم بن نويرة، مالك بن الريب.

الطبقة السادسة: أصحاب المشوبات* وهم:

نابغة بن جعدة، وكعب بن زهير، والقطامي، والحطيئة، والشماخ، وعمرو بن أحمر، وتميم بن أبي بن مقبل.

الطبقة السابعة: أصحاب الملحمات* وهم:

الفرزدق، وجرير، والأخطل، وعبيد الراعي، وذي الرمة، والكميت، والطرماح.

الملاحظ أنّ عناوين الطبقات هي من حيث دلالاتها صفات للقصائد، هذه الصفات هي عامة غير متمايزة باستثناء المراثي التي تمثل موضوعا متجانسا.

نلاحظ كذلك الميل الواضح للتقسيم السباعي، نرى في التقسيم أنه ينطلق من مبدأ نقدي وهو مبدأ الطبقة، نراه أيضا يعتمد على مبدأ الفحولة.

3 . مآخذ حول كتاب الجمهرة:

بالرغم من قيمة المجموعة الشعرية التي ضمّها كتاب الجمهرة فقد أخذ عليه الدارسون المحدثون عددا من المآخذ نُجملها فيما يلي:[1]

أ . إنّ التسميات التي وضعها للطبقات لا تدلّ في حقيقتها على موقف نقدي واضح صريح إذ ما هو الفرق بين (المعلقة) لأنها كانت تكتب بماء الذهب وتُعلّق على الكعبة وبين المجمهرة التي تعني السّبك والإحكام

في النظم مثل الناقة المجمهرة أي المتداخلة الخلق كأنها كتلة من الرمال، ثم المنتقيات التي انتقاها العرب والنقاد؟ أنها صفات متداخلة لا تنبىء عن موقف نقدي صريح عند أبي زيد القرشي.

ب . عدم انتظام هذا التقسيم الطبقي الذي ارتضاه أبو زيد القرشي إذ يدخل فيه طبقة خاصة جعلها للمراثي بينما ليس هناك رابط مضموني بين القصائد إذ يدخل فيه طبقة خاصة جعلها للمراثي بينما ليس هناك رابط مضموني بين القصائد في الطبقات الست الأخرى، وليس من الواضح السبب الذي جعله يخصّ المراثي بطبقة خاصة أو السبب الذي جعله يضعها في الطبقة الخامسة.

ج . اتّخاذه نظاما طبقيا متكلفا قائما على العدد(7) مما يدخل قدرا من الغيبية في موقفه النقدي، وهذا ما يتضح أيضا في مقدمته حين يتحدث عن شياطين الشعراء.

د . تقيده باختيار قصيدة واحدة لكل شاعر حتى يحافظ على تقسيمه السباعي، وكان الأولى به أن يطلق لمعاييره النقدية الحرية في الاختيار.

ومع ذلك فللجمهرة قيمتها الفنية والتاريخية فيما تضمنته من عيون الشعر العربي القديم وحفظها لنصوص شعرية لم ترد في المصادر الأخرى. وقد طُبعت الجمهرة أكثر من مرة، كان آخرها سنة 1976م بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي.

[1] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: ص 113 - 114

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم(08): المجامع الأدبية القديمة (البيان والتبيين للجاحظ - الكامل للمبرد - العقد الفريد لابن عبد ربّه - زهر الآداب للحصري)

تمهيد:

يتّسع مصطلح (الأدب) لضمّ المفهوم الثقافي والتهذيبي للأدب الذي يضمّ في نطاق الأدب كل المصادر التي تهدف إلى تثقيف الإنسان وتهذيبه، حتى يُلمّ بمعارف عصره ويعي تراثه وتقاليد قومه وقيمهم. وينتهج الأسلوب الأمثل في السلوك الاجتماعي، ولا يتوقف عند حدود مجتمعه؛ وإنما تتوسع ثقافته لتشمل الإلمام بأخبار الأمم الأخرى وقيمها ومعارفها وأساليب حياتها، وليس مطلوبا في الإنسان المؤدب أن يكون متعمقا ودارسا متخصصا في هذا كله؛ وإنما المطلوب منه الثقافة العامة الشاملة.

وقد لقي هذا المفهوم قبولا واسعا لدى كتاب العرب منذ بدايات حركة التأليف والتدوين، فتوالت المؤلفات في هذا المجال وتوسّعت في طرق أبواب الثقافة العامة والخاصة والقومي منها والخارجي. وبرز في هذه الساحة أعلام في فنّ الكتابة الأدبية بهذا المفهوم الثقافي، ولم تتوقف إسهاماتهم الأدبية عند حدود الدولة العربية وإنما ترجمت آثارهم إلى لغات العالم وكان لها تأثير كبير في إثراء الأدب العالمي، وفي هذه المحاضرة نتوقف مع نماذج من أعلام هذا الفن الأدبي.

أولا: الجاحظ وكتابه البيان والتبيين

مما لا شكّ فيه أنّ الجاحظ يُعدُّ (الأديب) الأمثل بهذا المفهوم سواء في حدود الثقافة العربية الإسلامية أو في حدود الثقافة العالمية.

1 . التعريف بالجاحظ:

شُهرته الجاحظ، وكنيته أبو عثمان، واسمه عمرو بن بحر، وُلد بالبصرة عام 160هـ/ 776م، والبصرة يومئذ مهد العلم ومنتدى الأدب، ومركز الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي كله.

كان الجاحظ نهمًا إلى القراءة، لم يقع في يده كتاب إلاّ أتى عليه، وله قدرة فائقة على الحفظ والرواية، فأكسبه ذلك معرفة واسعة، وثقافة متنوعة، بين دينية وأدبية، عربية ويونانية، فارسية وهندية.

عاش في عصر طافح بالقمم في كلّ فن، فعاصر من رجال الفقه والحديث مالكا والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري. ومن الكتاب ابن المقفع، وابن قتيبة، والمبرد، ومن علماء اللغة: الخليل بن أحمد، ومن الشعراء: بشار بن برد، وأبا نواس، وأبا تمام، والبحتري، ودرس على الأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأخفش.[1]

[1] - ينظر: دراسات في مصادر الأدب: ص 172 - 173

قضى الجاحظ حياته متنقلا بين البصرة وبغداد، ورحل إلى دمشق، وزار أنطاكية، فأكسبه التنقل خبرة واسعة، وعمقا في التجربة، وشمولا في النظرة، توفي عام 255هـ/ 968م.[1]

من مؤلفات الجاحظ: كتاب البخلاء، والحيوان، وكتاب الموالي والعرب، وكتاب نظم القرآن، والبيان والتبيين،...

الجاحظ لم يُثر التراث العربي من خلال الكم فحسب بل كان أهم من ذلك إثراؤه إياه من ناحية الكيف كذلك، فقد مجّ الجاحظ عناية الكتّاب بتنميق اللفظ بحيث يحولون بين القارئ وتعميق الفكرة، ومجّ التزامهم الجدّ المفضي أحيانا إلى الغموض في عرض الفكرة، ومجّ تجميعهم الشواهد دون الاهتمام بالكشف عن النوازع الإنسانية؛ ولهذا فقد نحا الجاحظ في أسلوبه منحى آخر تحرر فيه من الغموض ومن تنميق اللفظ مع الاحتفاظ بجزالته ثم مزج في هذا الأسلوب ما تعلم و ما قرأ بما سمع وبما خبر من أحوال الناس.[2]

يمكننا أن نقول إنّ الجاحظ نظر إلى وظيفة التأليف الأدبي من زاوية أخرى خلاف تلك التي نظر منها كتاب عصره؛ فليست وظيفة الكتابة عنده مجرّد إفراغ مزيج من المعلومات التي تدلّ على ثقافة الكاتب لكي يتثقف بها القارئ بل تتمثل وظيفتها . بصفة أساسية . في الكشف عن شخصية الكاتب وفلسفته اللغوية أو الكلامية أو الأدبية من ناحية، ثم في التعبير عن موقفه إزاء أنماط من السلوك البشري في ضوء الحياة الاجتماعية التي يعيشها أهل عصره من ناحية أخرى. فإذا أضفنا إلى ذلك وظيفة أخرى وهي إمتاع القارئ بالأسلوب الفكاهي، والنوادر الطريفة أدركنا إلى أيّ حدّ استطاع الجاحظ أن يطور الكتابة الأدبية من عصره من ناحيتي أسلوبها وهدفها.[3]

2 . مُؤَلّفُ البيان والتبيين:

إنّ للكتاب موضوعا رئيسيا يُسيطرُ عليه إلى حد كبير، فهو ليس مجرد مختارات من الأدب بل موضوعه الرئيسي هو استنباط أصول البيان كما تحدث فيها السابقون وكما مارسها عمليا علماء الكلام ومن بينهم الجاحظ.

لقد دأبَ الجاحظ في البيان والتبيين، وغيره من مؤلفاته أن يرسل نفسه على سجيتها، لا يتقيد بنظام يترسمه، ولا بمنهج يلتزمه، يبدأ الكلام في قضية ثم يدعها أثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى، ثم يعود إلى ما أسلف، حتى ليصعب الاهتداء في جنبات مؤلفه إلى الفكرة والرأي لمن يبحث عنهما، وكان الجاحظ يشعر بذلك، ويعتذر عنه أحيانا. فإذا تكلم عن (البيان) بعد حديث طويل عن العجز والعيّ وحال قريش في بلاغة

---

[1] ـ دراسات في مصادر الأدب: ص 176

[2] ـ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 141

[3] ـ نفسه: ص 139 - 140

المنطق، مهّد له بقوله:" وكان في الحق أن يكون هذا البابُ في أول هذا الكتاب، ولكنا أخّرناه لبعض التدبير".[1] وأدى ذلك إلى تكرار النصوص، والحديث عن الموضوع الواحد في أكثر من مكان، وقد يكون التكرار في (الباب) نفسه، وقد يكون في الكتاب، في الجزء نفسه أو في جزء آخر منه، كالحديث عن البلغاء وأخبارهم، والخطباء ومواقفهم، والحمقى ونوادرهم، وعلل الجاحظ استطراده بأنه صنع ذلك ليدفع السّأم عن نفس القارئ، وعلله الآخرون بأنه جاء نتيجة علمه الكثير يتدافع عليه.

وعلى غير عادة معاصريه واجه موضوعه مستعيذا من التكلف لما لا يحسن، ومن العجب بما يحسن، ومن السلاطة والهدر، ومن العِيِّ والحصر، وكانت هذه الاستعاذة مقدمة الكتاب، وكانت موضوعه، فلم يقدم بين يدي كتابه منهجا التزمه، ولا خطة شرحها، ولا قصدا حدّده.[2]

تحدّث الجاحظ تحت عناوين ثلاثة: **البيان، والبلاغة، والخطابة**، عن قضية واحدة هي الكلام الجيد، خطبة أو جدلا، أو حوارا أو قصصا.

فالبيان: عنده "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنسٍ كان الدليل؛ لأنّ مدارَ الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأيّ شيء بلغتَ الإفهام، وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[3]

وجميعُ أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياءَ لا تنقص ولا تزيد: أولها **اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد،* ثم الخط، ثم الحال.**[4]

والبلاغة:"تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وحسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة، وهي وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.[5]

وفي الخطابة: "ينبغي للمتكلم أن يعرفَ أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات."[6]

وقف الجاحظ كتابه على الأدب الشفاهي بألوانه المتعددة، وإذا عرض لغيره ففي مقام الاستدلال

---

[1] - البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1/ 76

[2] - دراسات في مصادر الأدب: ص 181

[3] - البيان والتبيين 76/1

[4] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[5] - البيان والتبيين88/1

[6] - نفسه: 1 / 138 - 139

أو المقارنة، ولم يقصر بحثه على الأدب وحده، وإنما تعداه إلى الأديب نفسه، فدرسه تشريحا وثقافة وتاريخا، فأفاض القول في الخطابة، وما تتطلبه من الجهر بالقول ورفع الصوت، وما يجب أن يكون عليه الخطيب أثناء الكلام من استخدام الإشارة، وارتفاع الصوت.

وعبر ذلك كله، قدم الجاحظ معلومات ضافية عن البلغاء، والخطباء، والفقهاء، والأمراء...[1]

وفي الكتاب مادة موفورة لدراسة عادات وتقاليد المجتمع الإسلامي في بغداد والبصرة على أيام الجاحظ، لأنه يغترف مما حوله، ويلتزم الدقة في إيراده، حتى الألفاظ العامية يوردها كما هي، وشكا من أن الرسم العربي غير كاف لتصوير كل الأصوات التي يريد كتابتها، فهو مصدر لعالم اللغة، حين يبحث في تطور الكلمات، وتوزع اللهجات، وظواهر اللحن، وخصائص القبائل، وفروق الدلالات، والحروف الأكثر دورانا، والألفاظ الأكثر توافقا، وتطور المصطلحات في مختلف مجالات العلوم، وضمّن الكتاب بعض حواطر معاصريه وسابقيه في الشعر العربي.[2]

3 . التأليف الأدبي عند الجاحظ:

لقد نظر الجاحظ إلى وظيفة التأليف الأدبي من زاوية أخرى خلاف تلك التي نظر منها كتّاب عصره، فليست وظيفة الكتابة عنده مجرد إفراغ مزيج من المعلومات التي تدل على ثقافة الكاتب لكي يتثقف بها القارئ بل تتمثل وظيفتها بصفة أساسية في الكشف عن شخصية الكاتب وفلسفته اللغوية أو الكلامية أو الأدبية من ناحية ثم في التعبير عن موقفه إزاء أنماط من السلوك البشري في ضوء الحياة الاجتماعية التي يعيشها أهل عصره من ناحية أخرى. فإذا أضفنا إلى ذلك وظيفة أخرى وهي إمتاع القارئ بالأسلوب الفكاهي والنوادر الطريفة أدركنا إلى حد استطاع الجاحظ أن يُطور الكتابة الأدبية في عصره من ناحية أسلوبها وهدفها.[3]

4 . دوافع تأليف البيان والتبيين

يرجع دافع الجاحظ لتأليف البيان والتبيين إلى أحد أمرين. أما الأمر الأول فهو أنّ الجاحظ لم يكن حتى زمن تأليف هذا الكتاب قد اختصّ البيان العربي ببحث شامل يُبيّنُ فيه طاقات اللغة العربية في مجال التعبير وفي مجال إقناع المستمع عن طريق المناضرة والخطابة وهما اللونان الأدبيان اللذان كانا يمارسان في بيئة البصرة حيث كثرت الخطابة والجدل والمناظرات بين طوائف الملل والنحل المختلفة. وقد أخذ علماء الكلام على عاتقهم التصدي لهؤلاء لجميعا، فحرصوا على إتقان هذين الفنين بحيث جعلوهما صناعة لها أصولها

---

[1] ـ ينظر: دراسات في مصادر الأدب: ص 182

[2] ـ نفسه: ص 183 - 184

[3] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 139 - 140

وقواعدها. وهذه الأصول والقواعد تلتمس عن طريق تمثل أسرار اللغة العربية، وحفظ الخطب المشهورة، والتمرس بالأسلوب المنطقي في التسلسل بالفكرة للوصول بها إلى غايتها بقصد إفهام الخصم وأخيرا معرفة الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الخطب شكلا وموضوعا ومعنى هذا أنّ الخطابة لم تعد منذ القرن الثاني شيئا يجرب به الطبع، وتتدفق به العاطفة بل أصبحت فنا يُعلّمُ، وتلتمس له الوسائل، وهذا ما نلتمسه عن أديب المعتزلة الأول الجاحظ الذي كشف في كل كتبه عن امتلاكه ناصية اللغة، وعن قدرته على الكشف عن أسرارها.

أما الدافع الثاني فهو الرد على الشعوبية الذين كانوا يعيبون على العرب خطبهم وتقاليدهم في إلقاء تلك الخطب ومنها الإمساك بالعصا. وقد نص الجاحظ على أنه قد نصّب نفسه مُدافعا عن فصاحة العرب داحضا بذلك اتهامات الشعوبيين.[1]

كان كتاب البيان والتبيين موضع تقدير القدامى، فقال عنه المسعودي إنه أشرف ما كتب:" لأنه جمع فيه من المنثور والمنظوم، وغرر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به"[2]

وجعله ابن خلدون واحدا من أركان الأدب الأربعة: أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي، والبيان والتبيين للجاحظ.

وفي العصر الحديث لقيت كتب الجاحظ بعامة والبيان والتبيين بخاصة إقبالا من القراء، ونُشر عدة مرات، وقام الأستاذ عبد السلام هارون بتحقيق الكتاب.[3]

لعلّ من نافلة الكلام أن نقول إنّ كتاب البيان والتبيين يُعدُ موسوعة في الأدب العربي تغذى بثمرها القدماء والمحدثون، فقد اعتمد عليه كبار الكتاب القدماء الذين جاءوا من بعده، مثل ابن قتيبة في(عيون الأخبار) والمبرد(في الكامل) وابن عبد ربه في (العقد الفريد)، وغيرهم، كما أنه رسم الطريق لمن جاء بعده في أسلوب التأليف الأدبي الذي هو جمع من كل شيء، ومن يتصفح كتاب(الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي المعتزلي الذي عاش في القرن الرابع يجد أنه يحتوي كذلك على قدر هائل من المادة المتنوعة شأنها في ذلك شأن كتب الجاحظ.

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 140 - 141

[2] ـ دراسات في مصادر الأدب: ص 185

[3] ـ نفسه: ص 185 - 186

ثانيا: الكامل للمبرد

تمهيد:

أخذ سيلُ التأليف ينهمرُ بعد الجاحظ، وبدأت تخصصات الأدباء والعلماء تتحدد وتتنوع ولم يكن الكاتب منهم يقتصر على تأليف كتاب أو كتابين بل كان كل منهم في حد ذاته موسوعة في علمه، ومن بين هؤلاء المبرد.

1 . تعريف المبرد

وُلد المبرد عام 210هـ وتوفي في عام 285هـ؛ أي أنه عاش عصر الثقافة المزدهرة والسياسة المصطخبة. تتلمذ المبرد على الجاحظ، فكان يجلس إليه ويستمع منه ويروي عنه، ولكن لما كان المبرد يميل أكثر ما يميل إلى الثقافة اللغوية والنحوية فقد كان معظم أساتذته من علماء اللغة والنحو. فقد أخذ عن الجرمي وكان فقيها عالما بالنحو واللغة، وأخذ عن أبي عثمان المازني إمام النحويين، وكان كل مهتم بالنحو يقرأ عليه كتاب سيبويه، وأخذ عن أبي إسحاق الزيادي وأبي الفضل بن الفرج الرياشي على أنّ ثقافة المبرد لم يكن مصدرها هؤلاء الأساتذة فحسب، فقد كان مثل الجاحظ واسع الاطلاع على الكتب. وبعد أن صار المبرد إمام النحويين البصريين بعد المازني تتلمذ عليه نفر ممن ذاع صيتهم في الدراسات النحوية واللغوية فيما بعد، ومنهم: الزجاج، والصولي، ونفطويه النحوي، وابن السراج، والأخفش الأصغر، وابن الجزار النحوي....

وقد اتفق هؤلاء جميعا على أنّ المبرد كان يمتاز بغزارة العلم، وفصاحة اللسان، وحلاوة المخاطبة، ووضوح الشرح.

وإلى جانب هذا كله كان المبرد يُكثر من حفظ الشعر، ذواقا له، وكان صديقا لأكثر شعراء عصره ومنهم: أبو تمام، والبحتري، وابن الرومي، وابن المعتز.

من مؤلفات المبرد نذكر: كتاب الكامل، وكتاب الفاضل، وكتاب المقتضب، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم، وشرح لامية العرب، وكتاب المذكر والمؤنث.[1]

2 . الهدف من تأليف الكتاب:

إذا كان الجاحظ قد اكتفى بعنوان كتابه (البيان والتبيين) ليكون دالا على الموضوع الذي من أجله ألف كتابه، فإنّ المبرد قد قدّم لكتابه بمقدمة موجزة، ولكنها توضح على وجه التحديد مادة الكتاب والغرض من تأليفه، فقد قال:"هذا كتاب ألّفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغةٍ، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة.

[1] ـ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 151 - 152

والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن نرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا"[1]

ومعنى هذا أنّ المبرد قد أتى بالنصوص المختارة في كتابه لتخدم غرضا لغويا أو نحويا، وهو مجال اهتمامه الأول، وهذا ما يشير إلى أنّ تخصصات علماء هذا العصر كانت قد تحددت، وبناء على ذلك كان كل أديب يوظف المادة التي حفظها واستوعبها. فإذا كان الجاحظ قد أودع كتابه (البيان والتبيين) مجموعة من المختارات الأدبية الرائعة، فقد كان يهدف من ذلك إلى أن يستشهد بها على وجوه البيان والفصاحة والبلاغة التي استخلصها، أما المبرد فإنه يستخدمها استخداما آخر وذلك بقصد الكشف عن المشكلات اللغوية والنحوية.

وبناء عليه نقول إنّ هدف المبرد من وراء تأليف مُؤلفه هو تقديم كتاب مُكتفٍ بنفسه، وذلك عن طريق تقديم النصوص وشرحها.

3 . محتوى كتاب الكامل:

يمكننا أن نلخص محتوى الكتاب فيما يلي:

. مختارات من الشعر والنثر والأمثال والحكم.

. إيضاحات لغوية.

. شروح نحوية.

. لمحات نقدية.

وإذا كان الكتاب عماده الأبحاث اللغوية والنحوية، فإنّ ما فيه من آراء نقدية يُعدُّ في الحقيقة على هامش النقد، فهو كثيرا ما يعلق على أبيات الشعر بعبارات عامة تكشف عن ذوقه الشخصي، ولكنها لا تعالج قضية نقدية، ومثال ذلك تلك العبارات التي نُصادفها في كتابه بين حين وآخر، مثل(فهذا أوضح معنى وأقرب مأخذا) أو قوله في شاعر ذكر له بيتا استحسنه بأنه أخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج، أو تعليقه على أبيات أخرى استحسنها بقوله(هذا كلام ليس فيه فضل عن معناه) وهو في ذلك يعبر عن الرأي الشائع في عصره من أنّ الكلام يكون بليغا إذا كانت ألفاظه معبّرة تماما عن معناه زيادة أو نقصان.[2]

[1] ـ الكامل في اللغة والأدب: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المملكة العربية السعودية، دط، دت، 32/1

[2] ـ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 155

يمكننا القول إنّ المبرد مسّ ثلاث ثلاث قضايا نقدية اهتمت بها كتب البلاغة والنقد وقتلتها بحثا، وهي قضية اللفظ والمعنى التي كانت تهم المعتزلة في عصره، وقضية الجديد والقديم، ثم قضية السرقات الشعرية، وفضلا عن ذلك فإنّ الكتاب يحتوي على قدر كبير من أدب الخوارج.[1]

وبالتالي، يعد كتاب الكامل مصدرا أساسيا للتراث العربي، سواء كان ذلك في مادته الأدبية أو في مادته النحوية واللغوية؛ ولقد اعترف الباحثون القدماء بأهمية الكتاب، فعده ابن خلدون في مقدمته ضمن أربعة كتب أساسية في البحث وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي.

مما يؤخذ على المبرد أنه كثيرا ما يروي أخباره دون أسانيد، إذ كثيرا ما يقول:" سمعت بغير وجه" و" سمعت على غير وجه" وهذا يشير إلى تحفظه في الإسناد إذا لم يكن يعرفه على وجه الدقة.[2]

4 . منهج المبرد في الكتاب:

كان المبرد يأتي بالنص كأن يكون حديثا ثم يأخذ في شرحه لغويا ونحويا، مستشهدا في ذلك بروائع من الشعر والنثر فإذا فرغ من ذلك قدم نصا آخر كأن يكون خطبة أو رسالة مشهورة لأحد الخلفاء أو الحكام.

ثالثا: العقد الفريد لابن عبد ربّه

تمهيد:

ننتقل إلى مغرب الدولة العربية الإسلامية في الأندلس لنلتقي بواحد من أعلام التأليف الأدبي وبكتاب أدبي غاية في الثراء والإمتاع للقارئ المتخصص والقارئ العام على السواء.

1. التعريف بالكاتب:

هو أحمد بن محمد بن عبد ربه، ولد في قرطبة إحدى حواضر الأندلس سنة 246هـ وقضى حياته في الأندلس لم يبرحها إلى أن توفي سنة 328هـ. تلقى العلم مع مشايخ زمانه في العلوم الدينية واللغوية والتاريخ والآداب، ثم تفتحت موهبته الشعرية فأصبح واحدا من شعراء الأندلس الكبار الذين يُعتدّ بشعرهم.

وقد ترك لنا شعره الذي جاء قدر كبير منه في ثنايا كتابه(العقد) وفي ثنايا الكتب التي ترجمت حياته، وهو شعر يتصف برهافة حسّ الأندلسيين وميلهم إلى الغناء والطرب، وعشقهم للطبيعة والغزل الرقيق، والتقرب إلى الله.

وذيوع صيت ابن عبد ربه كان عن طريق موسوعته الأدبية الكبيرة والتي أسماها العقد الفريد.[3]

---

[1] ـ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 155

[2] ـ نفسه: ص 156

[3] ـ المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة: ص 163

2 . دوافع تأليف الكتاب:

لقد ذكر ابن عبد ربه في مقدمة كتابه دافعه لتأليف كتابه قال:"وبعد، فإن أهل كل طبقة، وجهابذة كل أمة، قد تكلموا في الأدب، وتفلسفوا في العلوم في كل لسان، ومع كل زمان، وإنّ كل متكلم منهم قد استفرغ غايته، وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين، واختيار جواهر ألفاظ السالفين، وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصَر منها إلى اختصار، والمتخير إلى اختيار.

ثم إني رأيت آخر كل طبقة، وواضعي كل حكمة، ومؤلفي كل أدب، أعذب ألفاظا، وأسهل بنية، وأحكم مذهبا وأوضح طريقة، من الأول؛ لأنه ناكص متعقب، والأول بادئ متقدم"[1]

. تحليل القول:

نستخلص من قول عبد ربه ما يلي:

أولا: أنه بعد أن امتلأت عقول الأدباء بحشد من النصوص التي نقلت إليهم رواية، أو ربما دونوها كتابة، حرصا منهم على عدم ضياعها، دفعتهم الرغبة في التأليف إلى الجمع بين هذه النصوص في مؤلف واحد، بعد أن انتقوا منها ما يتلاءم مع موضوعاتهم من ناحية، وما يمكن أن يكون أكثر إثارة وجذبا للقارئ والمستمع من ناحية أخرى.

ثانيا: أنّ المتأخر من هؤلاء كان ينظر إلى سابقه ويجتهد في أن يضيف شيئا جديدا إلى مختاراته حتى يتميز عن سابقه، فلا يقال إنه قلده تقليدا.

ثالثا: أنّ ابن عبد ربه جذبه كذلك هذا النوع من التأليف، فألف كتابه(العقد الفريد)، وربما سأل ابن عبد ربه نفسه عما يمكن أن يميز كتابه عن الكتب السابقة عليه، ومن ثمّ فهو يُنبه إلى هذا بقوله:" وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لحمل الآثار؛ فجعلت هذا الكتاب كافيا شافيا، جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة. وتدور على ألسنة الملوك والسوقة. وحلّيت كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور"[2]

ومعنى هذا أنّ ما يميز كتاب العقد الفريد عن كتب المصنفات السابقة عليه هو أنه جعله شافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه الخاصة والعامة، وهذا ما كان ينقص الكتب السابقة عليه .كما يدعي . هذا شيء، والشيء الآخر هو أنّ عبد ربه قدم فيه ما يتعلق بالمغرب الإسلامي من أدب وأخبار.

---

[1] ـ العقد الفريد: الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1404هـ، 1983م، 4/1

[2] ـ نفسه:6/1

3 . منهج الكتاب:

سمى ابن عبد ربه كتابه بالعقد؛ وهي تسمية تنطبق تماما على منهج تأليف الكتاب. فقد تصور موضوعات كتابه الخمسة والعشرين(25) متراصة في شكل عقد يحتوي على خمس وعشرين جوهرة(25) ويقابل واسطة العقد واسطة الموضوعات، وهي كتاب الواسطة في الخطب، وعلى جانبي الواسطة تتراص اثنتا عشرة(12) جوهرة في جانب، تماثلها في النوع والحجم اثنتا عشرة(12) جوهرة على الجانب الآخر، وبذلك وقع نظام كتابه على النحو التالي:[1]

1 .كتاب اللؤلؤة في السلطان	يقابله	رقم 25 وهو كتاب اللؤلؤة الثانية في النتف والهدايا والفكاهات والملح.
2 .كتاب الفريدة في الحرب	//	رقم 24 وهو كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب.
3 .كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد	//	رقم 23 وهو كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الإنسان والحيوان وتفاضل البلدان.
4 .كتب الجمانة في الوفود	//	رقم 22 وهو كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والبخلاء والطفيليين.
5 .كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك	//	رقم 21 وهو كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن.
6 .كتاب الياقوتة في العلم والأدب	//	رقم 20 وهو كتاب الياقوتة الثانية في علم الألحان.
7 .كتاب الجوهرة في الأمثال	//	رقم 19 وهو كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي.
8 .كتاب الزمردة في المواعظ والزهد	//	رقم 18 وهو كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه.
9 .كتاب الدرة في التعازي والمراثي	//	رقم 17 وهو كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم.

[1] ـالعقد الفريد1/ 7 - 8

10 .كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب	//	رقم 16 وهو كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة.
11 .كتاب العسجدة في كلام العرب	//	رقم 15 وهو كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم.
12 .كتاب المجنبة في الأجوبة.	//	رقم 14 وهو كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول وأخبار الكتبة.
13 . الواسطة في الخطب		

يمكننا القول إنّ كتاب العقد الفريد يعدّ مصدرا مهما من مصادر التراث العربي، لا يقل قيمة عن الكتب التي سبقته؛ بل إنه حقا يتميز عنها بوفرة المادة التي استقاها ابن عبد ربه من مصادر عدة، وبتنوع الموضوعات.

رابعا: زهر الآداب للحصري

1 . التعريف بالكاتب:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري المعروف ب(الحصري القيرواني) نسبة إلى الحُصر القريبة من مدينة القيروان.

ولد في مدينة القيروان حاضرة المغرب الأدنى في ذلك الحين وفيها تعلّم، وقد نشأ على الوراقة والنسخ لجودة خطّه، وكان منزله بجوار جامع القيروان، حيث اتّخذه بيته وخزانته، ويبدو أنّ هذا المكان ساعده على الاعتكاف للتدريس والتأليف وصناعة الأشعار، فكان مرجع الشبان وعشاق المعارف الأدبية ومحطّ أنظارهم، وذاعت شهرته إلى خارج مدينة القيروان.

أما تاريخ ميلاده فلم تذكر المراجع شيئا عنه، وقد رجّح عبد العزيز قلقيلة من استنتاجات المتأخرين أنه ولد سنة 330هـ، ورجح محمد بن سعد الشويعر أن تكون ولادته في سنة 363هـ.[1]

[1] - ينظر: مجلة الفضاء المغاربي من مقال بعنوان: فن التراجم الأدبية في كتاب زهر الآداب للحصري، محمد منصوري، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأكاديمية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي، تلمسان، المجلد1، العدد2، دت، ص 225 - 226وينظر: محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، حليمة عواج، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1441 - 1442هـ، 2020 - 2021م، ص 136

2 . مؤلفاته:

ترك عدة مؤلفات منها:

. زهر الآداب..

. نور الطرف ونور الظرف.

. المصون في سر الهوى المكنون.

. الجواهر في الملح والنوادر.

. جزء مما قيل في طيبات الأغاني ومطربات القيان.

. تأليف عن طبقات الشعراء(بدأ فيه ثم عدل عنه)

. ديوان شعر.[1]

3 . وفاته:

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة الحصري؛ حيث يقول تلميذه الحسن بن رشيق: أنه مات بالمنصورة سنة 413هـ أما ابن بسام فيقول في ذخيرته: بلغني أنه توفي سنة 453هـ، ويرى بروكلمان أنّ الحصري توفي سنة 413هـ، ومحمد زغلول يقول أنه توفي في عام 513هـ[2]

4 . أهمية الكتاب:

يعدُّ كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" أحد كتب الحصري العديدة، وهو أهمها وأشهرها على الإطلاق ويعدُّ مصدرا مهمّا من مصادر الأدب العربي، ولا يقل شأنه عن شأن أمهات الكتب الأدبية المشرقية والمغربية على السواء ككتاب البيان والتبيين، والعقد الفريد وغيرها.[3]

5 . دوافع تأليف الكتاب:

يتحدث الحصري عن سبب تأليفه الكتاب بقوله:وكان السبب الذي دعاني إلى تأليفه ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان...في الأدب، وإنفاق عمره في الطلب، وما له من الكتب، وأنّ اجتهاده في ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها، وأغمض في طلبها باذلا في ذلك ماله مستعذبا فيه تعبه، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره، ونصحاء دهره، طرائف طريفة، وغرائب غريبة، وسألني أن أجمع له من

---

[1] ـ مجلة الفضاء المغاربي من مقال بعنوان: فن التراجم الأدبية في كتاب زهر الآداب للحصري، ص226 وينظر: محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 136

[2] ـ ينظر: قضايا النقد الأدبي في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني، عامر سهالي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، وهران، 2009م، ص 23وينظر:محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 137

[3] ـ ينظر: فن التراجم الأدبية في كتاب زهر الآداب للحصري، ص 227

مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها، وأضيف إلى ذلك كلام المتقدمين ما قاربه وماثله، فسارعت إلى مراده، وأعنته على اجتهاده، وألفت له هذا الكتاب؛ ليستغني به عن جميع كتب الآداب.[1]

6 . محتوى ومنهج الكتاب:

الكتاب في مُجمله .كما قيل .كتاب أدب ونقد، جمع فيه الكاتب موضوعات متنوعة من شعر ونثر، يحوي الكثير من الآراء النقدية بالإضافة إلى ذلك فهو يُعدُّ كتاب تراجم أيضا.[2]

يورد الحصري في الكتاب نصا نكتشف من خلاله المنهج الذي سار عليه في التأليف، هذا النص يشير إلى نزوعه إلى التنويع الأدبي حيث يقول:" وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت وعن إبعاد الشكل عن شكله، وإفراد الشيء من مثله، فجعلت بعضه مسلسلا، وتركت بعضه مرسلا، وقد يعز المعنى، فألحق الشكل بنظائره، وأعلق الأول بآخره، وتبقى منه بقية أفرقها في سائره...[3]

7 . مميزات الكتاب وعيوبه:

. لا يُعنى الحصري بتوثيق النص ذلك أن الغرض فيما يبدو هو المتعة.

. لا يميز كلامه عن كلام الآخر بالأقواس مثلا أو علامة انتهى.

. يغلب على المؤلف الاستطراد متحريا المناسبات الجارة إلى هذا الاستطراد.

. يهتم الحصري كثيرا بالبديع ولهذا نجده يكثر من إيراد نثر بديع الزمان الهمذاني، وأشعار مسلم بن الوليد، وأبو تمام، وابن المعتز...

. يُعنى كذلك بالوصف موردا منتخبات من أشعار ممن عرفوا بالوصف أمثال: ابن الرومي، وابن المعتز، وغيرهم.

.كان الحصري يتحاشى حوشي الشعر وغريبه، ولعله سبب قلة إيراده الشعر الجاهلي المليء بالغريب.

. يتبع الحصري الفكاهة ويأخذ الأقوال الحكيمة والأمثال والنوادر.[4]

8 . مصادر ومناهل الكتاب:

باختصار يمكن ان ندرج ضمن هذه المصادر مجموعة من الكتب منها: كتب الجاحظ، والثعالبي، وبديع الزمان الهمذاني، وكتب النقد الأدبي ككتب: ابن قتيبة، وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، وقدامة بن جعفر، والناشيء، والحاتمي، والصولي...[5]

---

[1] ـ فن التراجم الأدبية في كتاب زهر الآداب للحصري، ص 227

[2] ـ نفسه: ص 228

[3] ـ ينظر: قضايا النقد الأدبي في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني، 34 وينظر:محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 138

[4] ـ نفسه: 36

[5] ـ نفسه: ص 37 - 38

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم (09): المجامع النقدية القديمة - الشعر والشعراء لابن قتيبة - طبقات الشعراء لابن معتز - العمدة لابن رشيق القيرواني - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني - أحكام صنعة الكلام للكلاعي - المثل السائر لابن الأثير

توطئة:

يرى بعض النقاد أنّ فهم النص الأدبي يرتبط ارتباطا وثيقا بمعرفة صاحبه، فالنص الأدبي هو مرآة عاكسة لمؤلفه وتاريخ حياته. والمؤلف بدوره مرآة عاكسة لعصره الذي عاش فيه، ومعبر صادق عن روح هذا العصر؛ ولذا يتوجب علينا في ضوء هذه المقولة أن نعرف أكبر قدر ممكن من المعلومات عن المؤلف وتاريخ حياته وأن ندرك المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أحاطت بحياته وكوّنت فكره ووجدانه ثم أن نلمّ أيضا بالتجارب الشخصية وعلى من تتلمذ وبمن اتصل وأين عاش وتنقل، كل هذا عامل مهم في فهمنا للنص الأدبي وإدراك الموقف النفسي للأديب.

وقد عنى العرب منذ القديم بالنسب والقرابات القبلية، وخصّوها باهتمامهم الكبير لأنها من ناحية تلقي الضوء على العصبية القبلية التي كانت عصب الحياة العربية قبل أن يخفف منها الإسلام، ولكن لم يقض عليها تماما، ومفسرة لكثير من الأحداث السياسية.

وظلّ العرب على اهتمامهم بالأنساب وكتابة السير والتراجم بدءا بالسيرة النبوية الشريفة ورجال السياسة والعلماء والأدباء، فكثرت التراجم والسير والطبقات. وسنعرض في هذه المحاضرة لعدد من الكتب في هذا النوع من التأليف المكمل لمصادر الإبداع الأدبي ومصادر التصنيف اللغوي.

أولا: الشعر والشعراء لابن قتيبة

ابن قُتيبة قرين الجاحظ في سعة الثقافة وشمولها، وندّه في الذود عن مبادئه والنضال من أجلها وكتابه الشعر والشعراء كتاب يشبه كتاب طبقات فحول الشعراء، غير أنه يتميز بترجمته للشعراء دون الأخذ بمبدأ الطبقات، ويتفرد بمقدمته النقدية المهمة.

1 . التعريف بابن قتيبة:

ولد عام 213هـ/828م اتصل بالعلماء والأدباء، وحضر مجالس المتكلمين وأعجب بها، وأنفق الشطر الأكبر من حياته في بغداد يطلب العلم، ويتولى التدريس، ويعكف على التصنيف. توفي عام 276هـ/ 889م.

كان ابن قتيبة فيما يقول ابن النديم:" عالما باللغة والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر والفقه، كثير التصنيف والتآليف" وتاق منذ صغره إلى أن يكون أديبا، فهو يحدث عن نفسه:" كنت في عنفوان الشباب، وتطلب الآداب، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه بسهم" ويزيد الأمر وضوحا" من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم"

كانت تآليفه متنوعة تشمل أغلب معارف عصره، وذكر له ابن النديم صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين (33) كتابا، ويرتفع بها بعضهم إلى ستين (60) ونيف.[1]

2 . منهج ابن قتيبة في الكتاب

فصّل ابن قتيبة منهجه في دراسته، وهو أول منهج يصلنا في العربية على هذا القدر من الوضوح، ففيه حديث عن مادة الكتاب، وغاية المؤلف، ووسيلته إلى هذا الهدف، يقول:" هذا كتاب ألّفته في الشعر أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم وعما يُستحسن من أخبار الرجل ويُستجادُ من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون"[2]

ويضيف ابن قتيبة قائلا" كان قصدي للمشهور من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو في كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمّا من خفي اسمه وقلّ ذكره وكسد شعره فما أقلّ من هذه الطبقة إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل ولا أعرف لذلك القليل أخبارا وإن كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمّي لك أسماء لا أدلّ عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد، أو يستغرب"[3]

ولم يعرض في كتابه" لمن كان غلب عليه غير الشعر.

وفصّل ابن قتيبة القول في مسألة أشار إليها المبرد في (الكامل) عرضا وعلى استحياء؛ وهي الوقوف في وجه التيار الجامد الرامي إلى إجلال كل قديم، والتهوين من شأن كل معاصر، فكان في اختياره لمادته متحررا من التبعية والتقليد يقول:" ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلّد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حقه، ووفرت عليه حقه"[4]

---

[1] ـ ينظر: دراسة في مصادر الأدب، ص 238 - 239

[2] ـ كتاب الشعر والشعراء: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صححه وعلق حواشيه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، مطبوعات جريدة النيل، مصر، ط1، 1323م، ص 1

[3] ـ نفسه: ص 1

[4] ـ نفسه: ص 2

وإذا كنا ندين لابن سلام الجمحي بمعلوماتنا الوافرة عن الانتحال في الشعر العربي، طبيعته وأسبابه، فنحن ندينُ لابن قتيبة بأول إشارة واعية وصريحة عن الصراع بين القديم والحديث في عصره، والتزامه جانب العدل دون النظر إلى قديم وحدي، غير أنه لم يمض بالقضية إلى غايتها، فصمت عن العنصر الذي تدور حوله الجودة في الشعر، فيحكم عليه في ضوئها وجودا وعدما. وكان هذا هو الجديد الذي أضافه (عليّ بن عبد العزيز الجرجاني) . ت 392هـ . في كتابه . **الوساطة بين المتنبي وخصومه** . حين عالج القضية بعد ذلك بمائة عام، إذ رأى أنّ" ملاك الأمر في هذا الباب خاصة ترك التكلف، ورفض التعمّل، والاسترسال للطبع، وتجنب الحمل عليه، والعنف به، ولست أعني بهذا كل طبع، بل المهذّب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة الحسن والقبيح"[1]

3 . مادة الكتاب:

لقد جعل ابن قتيبة مادة الكتاب على قسمين: الشعر والشعراء،[2] ويمكن القول بوجه عام أنه في الجانب الأول خالق مبدع، وأنه في الآخر جمّاع راوية.

أ . القسم الأول من الكتاب (الشعر): تحدث فيه عن الشعر، لفظه ومعناه، ما حسُن منه وما رذُل، وهو تقسيم ينهض أساسا على المنطق الشكلي، وخلال الحديث عن هذه الأقسام لاحظ . وبحق . أنّ أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع، وشعر الخليل، ودلل على رأيه بأبيات للخليل ابن أحمد العروضي:

إنّ الخليط تصدّع فطر بدائك أوقعْ
لولا جوار حسان حور المدامع أربع
أمّ البنين وأسمـــا ءُ والرّبابُ وبوْزع
لقلتُ للراحل ارحلْ إذا بدا لك أو دعْ

وهو شعر بيّن التكلف، رديء الصنعة، ولو لم يكن إلا(أم البنين) و(بوزع) لكفاه.[3]

وتكلم ابن قتيبة عن الطبع والتكلف في الشعر وعند الشعراء، ودواعي الشعر" التي تحثّ البطيء وتبعث المتكلف" وعدّ منها خمسة: الطمع، والشوق، والشراب، والطرب، والغضب وقد أصاب حين ذكر هذه الدواعي؛ لأنّ الانفعال وليدها، أو يشتدّ معها ويحتدّ، وأصاب حين اتخذها مثلا ولم يقصر الدواعي عليها لأنّ مظاهر الانفعال وأسبابه عديدة إلاّ إذا فهمنا مدلول الألفاظ على نحو فضفاض يتسع لكل رغبات

---

[1] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص 243
[2] ـ كتاب الشعر والشعراء : ص 1- 5
[3] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص 244

الإنسان ونقائضها، والنقائض انفعالات أيضا، ودلل على دعواه بعدد من تجارب الشعراء، مثل: الحطيئة، وكثيّر عزة، والأحوص، والشنفرى وغيرهم. ومن ثمّ فإنّ الشعر ـ وكل ضروب النثر ـ يقرب ويبعد تبعا لانفعال الشاعر، والانفعال لا يأتي حين يريده المرء، ولا حيلة له في دفعه إذا جاء، وبقدر عمق الانفعال، وصدق التعبير عنه، تختلف أشعار ورسائل الكتاب. **والتكلف في الشعر**بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره، ومضموما إلى غير لفقه" والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجُزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، وإذا امتحُن لم يتلعثم ولم يتزَحّر"[1]*

ثم عالج عيوب الشعر: الإقواء، والإكفاء، والسناد، والإيطاء، والإجازة. وتعرض لأخطاء الأعراب، وما يجب أن يكون عليه الشعر من تسام عن سواقط اللهجات، وشواذ اللغات.[2]

ب ـ القسم الثاني من الكتاب (الشعراء): وهو الأكثر أهمية بالنسبة لتأريخ الأدب على الشعراء، أنسابهم وأشعارهم، وما اتصل بهم من تاريخ وحكايات، ومهّد له بحديث قصير مبتور عن أوائل الشعراء، ذكر فيه ثلاثة منهم: دُويد بن نهد القضاعي، وأعصر بن سعد بن قيس عيلان، والحارث بن كعب، وأورد لكلّ واحد منهم أبياتا قليلة، ولم يقدم بين يديه خبرا واحدا يعين على وضعه في مكانه من التاريخ. وبعض الشعراء الذين ذكرهم: ابن سلام الجمحي على أنهم من أوائل الشعراء، فجعلهم خارج طبقاته، وتحدث عنهم في المقدمة، ضمنهم ابن قتيبة كتابه ووضعهم في زمرة الشعراء المعروفين. وقد بلغت عدّة الشعراء الذين ترجم لهم 206 شاعرا بين جاهلي ومخضرم وإسلامي، ومن عاصره من العباسيين، بدأهم بامرىء القيس وختمهم بالأشجع السُّلمى، ولم يترجم معهم لغير شاعرتين هما: الخنساء بنت الشريد، وليلى الأخيليّة.[3]

ولم يلتزم بنهج معين يسير عليه في تعريفه بالشعراء، وكل ما هنالك أنه أورد الجاهليين أولا وأتبعهم بالإسلاميين، وتناثر المخضرمون بين القسمين، وداخل كل قسم سار فيه على ما يمكن تسميته (**تداعي المعاني**). فقد بدأ دراسة الشعراء بامرىء القيس، وثنى بزهير، وأتبعه بابنه كعب للرابطة الأسرية التي بينهما، وما من سبب آخر غير هذه الصلة يبرر تقدمه، وليس من الضروري أن تكون هذه الصلة قرابة مباشرة كالتي بين زهير وابنه كعب بل قد تكون مجرّد صلة قبلية، فقد عاقب بين شعراء هذيل، وخصّهم بعنوان مستقل، وترجم لاثني عشر شاعرا منهم على التوالي.

وقد تكون القرابة الفنية سببا في إلحاق شاعر بشاعر، فقد ترجم لشعراء النقائض متتابعين: جرير والفرزدق والأخطل على التوالي، وقد يكون الداعي مجرد الاشتراك في حادثة معينة، أو الصداقة بين شاعرين.[4]

---

[1] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص 245

[2] ـ كتاب الشعر والشعراء ص14 وينظر: دراسة في مصادر الأدب: ص 246

[3] ـ نفسه:ص 16 وما بعدها وينظر:دراسة في مصادر الأدب: ص 246

[4] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص 247

وابن قتيبة لا يهتم عادة بتفسير لغويات النصوص التي يوردها، ولا بشرحها، وقد يعلّق عليها أحيانا، ينقد بعض ما يرويه، لكن نقده يقوم على التذوق، لا على التحليل والتعليل.

وبرغم الدقة التي التزمها ابن قتيبة في إيراده للأخبار، والتزامه الأمانة في النقل، كانت ذاكرته تخونه على قلة، فيُخطىء في نسبة الشعر أو نسب الشاعر، وقد تتشابه عليه الأسماء فيخلط بينها، ويضيف من الأحداث لشاعر ما ليس له.[1]

استنادا لكل ما تقدم نقول إنّ الكتاب بشقّيه على قدر كبير من التنظيم، وهو أول ما نلقى من تأليف عربي منظم، بعد فوضى الجاحظ والمبرد، إنه أشبه ما يكون بالتأليف المدرسي في عصرنا الحاضر، يضم كل موضوع إلى شبيهه، ويقسم الكتاب إلى تراجم ذات عناوين، وهو يلتقي مع الجاحظ في إيثار الجمل الوجيزة المتوازية، ويختلف عنه في أنه لا يلتفت إلى السجع، ويميل إلى ما هو سهل من المفردات والتراكيب، وخاتمة الكتاب لا تُشعر بانتهائه. كان كتاب الشعر والشعراء من أوائل المصادر العربية التي قام على تحقيقها ونشرها المستشرقون.

4 . مختارات من كتاب (الشعر والشعراء) . أقسام الشعر .[2]

قال أبو محمد: تدبّرت الشعر فوجدته أربعة أضرب

. ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية:

في كفّه خيزران ريحه عبق من كفّ أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

لم يُقل في الهيبة شيء أحسن منه.

. ضرب حسُن لفظه وحلا، فإذا أنت فتّشته لم تجد هناك طائلا، كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجــة ومسّح بالأركان من هو ماسح

وشُدّت على حدب المهارى رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع. وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث وسارت المطيّ في الأبطح. وهذا الصنف في الشعر كثير.

. وضرب منه جاد معناه وقصُرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

---

[1] ـ دراسة في مصادر الأدب: ص ـ 248 ـ 249

[2] ـ كتاب الشعر والشعراء: ص 3 ـ 4 وينظر: دراسة في مصادر الأدب: ص 251 ـ 253

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يُصلحه الجليس الصالح

هذا وإن كان جيّد المعنى والسّبك فإنه قليل الماء والرونق.

. ضرب منه تأخر لفظه وتأخر معناه، كقول الأعشى:

وفـوها كأقاحيّ غذاء دائم الهطل

كما شيبَ براحٍ با ردٍ من عسل النحل

وكقول الخليل بن أحمد:

إنّ الخليط تصَدع فطِر بدائك أو قع

لولا جوارِ حِسان حور المدامع أربع

أمّ البنين وأسمـا ء والرّباب وبوزع

لقلت للراحل ارحل إذا بدا لك أو دع

وهذا الشعر بيّن التكلف، رديء الصنعة.

ثانيا: طبقات الشعراء لابن المعتز

1 . التعريف بالكاتب:

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد من الخلفاء العباسيين.[1] ولد في سامرا ولا تعرف سنة ميلاده معرفة ثابتة والأرجح كان سنة 247هـ، وقد انصرف منذ حداثته إلى الدراسات الأدبية فتخرج على جماعة من العلماء، نذكر منهم: المبرد النحوي البصري والأديب المشهور وأبا العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة فكان ابن المعتز من الطبقة المثقفة، إن لم تكن ثقافته عميقة وقد نظم الشعر وهو في نحو الثالثة عشرة من عمره.[2] قتل ابن المعتز سنة 296هـ بعد أن اضطرب على خليفة المقتدر وعسكره وبايعوه بخلافة ثم عادوا مذعبين للمقتدر، ولم يهنأ ابن المعتز بلقب الخليفة إلا يوما أو بعض يوم، فتفرق الناس عنه وقضي عليه خنقا.[3]

[1] ـ دراسات في النقد الأدبي العربي، بدوي طبانة، ص 257 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، عبد المالك قرل، ص36

[2] ـ في النقد الأدبي القديم عند العرب: مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، مكة، 1998م، ص187

[3] ـ تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص 722وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، عبد المالك قرل، ص36

يقول الصولي عن ابن المعتز:" من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم، ومن نشأ في الرواية والسماعة، يكثر في مجلسه من: حدثنا وأخبرنا...وكانت داره مغاثا لأهل الأدب، وكان يجالسه منهم جماعة"[1]

2 . مؤلفات ابن المعتز:

من مؤلفات ابن المعتز نذكر:[2]

. كتاب الزهر والرياض.

. كتاب الجوارح والصيد.

. كتاب حلى الأخبار.

. كتاب فيه أرجوزة في ذم الصبوح.

. كتاب البديع.

. كتاب أشعار الملوك.

. كتاب طبقات الشعراء.

. مكاتبات الإخوان بالشعر.

. كتاب الآداب.

. كتاب الجامع في الغناء.

. كتاب السرقات.

. يضاف إلى هذا كتاب فصول التماثيل.

3 . التعريف بالكتاب:

اسم الكتاب الكامل هو(طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء) أو(مختصر طبقات الشعراء) أو كما سماه مؤلفه ابن المعتز(طبقات الشعراء المتكلمين من الأدباء المتقدمين) والمعروف الآن لدى الباحثين(طبقات الشعراء)

كتبه ابن المعتز في أيام قصار من أواخر حياته بعد عام 293هـ، والكتاب ينحصر محتواه على العصر العباسي، فهو يذكر شعراءه، وليس كلهم؛ فهو تعمد إغفال بعضهم، كأمثال: ابن الرومي الذي هجا والده المعتز بالله، وعبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن، فأهمله لأنه كان أشد الناس كراهية للعرب، وأهمل يحيى بن زياد الحارثي لأنه كان من كبار الزنادقة وهذا دليل على أنه أديب ناقد بشخصيته التي جعلته يقدم

[1] ـ طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر،دط، دت، ص 10

[2] ـنفسه: ص 11 - 12

كتابه بأسلوب مقبول وشيّق، فهو بذلك يُبدي رأيه في القصائد والمقطوعات ويجعلها في ميزانه النقدي ويذكر بعض القصص والأخبار واصفا الحياة الاجتماعية في زمانه.[1]

يقول ابن المعتز في مقدمة كتابه:" فكان أولُ ترجمة بشار بن برد وما له من الأشعار والآثار، فنظرت في ذلك أن أجمعهم في هذا الكتاب، فرأيت الاختصار لأشعارهم عينَ الصواب، ولو اقتصيت جميع ما لهم من الأشعار لطال الكتاب، وخرج عن حدّ القصد، فاختصرت ذلك وذكرت ما كان شاذا من دواوينهم وما لم يذكر في الكتب من أشعارهم، واقتصرت على ما كان من مطولات قصائدهم"[2]

ثالثا: العمدة لابن رشيق القيرواني

1 . التعريف بالكاتب:

هو الحسن بن رشيق، أحد البلغاء الأفاضل، الشعراء، ولد بالمسِيلةِ، وتأدّب بها قليلا، ثم ارتحل إلى القيروان سنة ستّ وأربعمائة. ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

قرأ الأدب بالمحمدية، وقال الشعر، وتاقت نفسُه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب، فرحل إلى القيروان واشتهر بها.

وأخذ ابن رشيق الأدب عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي، وعن الأديب أبي محمد عبد الكريم النهشلي.[3]

وقد تعددت جوانب ابن رشيق الأدبية والعلمية ولكن غلب عليه جانب الشعر والنقد، وله ديوان شعر كبير تناقل كثير من المؤلفين بعض قصائده في موضوعات مختلفة.[4]

ولا يختلف شعره كثيرا عن شعر معاصريه في موضوعاته؛ فهو يغرق في المديح والتملق والمبالغة في صفات الممدوح مع اصطناع الظرف أحيانا والمبادرة إلى القول فيما يعرض من موضوعات أو يقترح في المجلس إلى جانب الغزل بالمؤنث والمذكر ووصف الخمر ومجالس اللهو، كما يتفق شعره مع روح عصره في أسلوبه وديباجته وميله إلى الأوزان الرقيقة والخفيفة والإكثار من التشبيهات والاستعارات، وإن كان لا يميل إلى الصنعة اللفظية كثيرا كالجناس والطباق ولو أنه لم يخل منهما.[5]

---

[1] ـ عبد الله المعتز ناقدا، ليث ضاري عبد الهادي الزوبعي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2015م، ص 45 - 46 وينظر: محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 146

[2] ـ طبقات الشعراء: ص 18 - 19

[3] ـ العمدة في محاسن الشعر, وآدابه، ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1401هـ، 1981م، 1 / 10 - 14

[4] ـ تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، لبنان، ط11، 2007م، ص 130

[5] ـ نفسه: ص 130

2 . مؤلفاته:

ترك ابن رشيق آثارا نقدية كثيرة يتصدرها كتابه(العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) وله أيضا(رسالة قراصنة الذهب) ورسالة سماها ساجور الكلب، وريالة نجح الطلب، ورسالة قطع الأنفاس، ورسالة نقض الرسالة الشعوذية، والقصيدة الدعية، والرسالة المنقوضة، ورسالة رفع الإشكال ودفع المحال، وله كتاب أنموذج الشعراء شعراء القيروان.[1]

3 . الغرض من تأليف الكتاب:

لقد أفصح ابن رشيق عن هذا الباعث وذلك الغرض في مقدمته لكتابه حيث يقول بعد ثنائه على سيّده وولي نعمته ابن أبي الرجّال:"...فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته، وتمتثل إرادته؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم(إنّ من الشعر لحكما) وروي(لحكمة) وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" نعم ما تعلّمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته: فسيتنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم" مع ما للشعر من عظيم المزية، وشرف الأبية، وعز الأنفة، وسلطان القدرة، ووجدت الناس مختلفين فيه، مختلفين عن كثير منه، يقدمون ويؤخرون، ويقلّون ويكثرون، قد بوّبوه أبوابا مبهمة، ولقّبوه ألقابا متهمة، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة، وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه، وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه؛ ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله تعالى"[2]

لقد صرح ابن رشيق في هذه المقولة عن تأييده الشعر وحبه له إذ أنه يرى فيه أكبر علوم العرب، وأفر حظوظ الأدب، وقد أعطى الدليل وهو قول الرسول صلى الله وسلم الشعر حكمة وقول عمر بن الخطاب عن العرب الذين يقولون الشعر عند الحاجة، وقد جمع ابن رشيق أشعار كل شاعر في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه." فمكانة الشعر وعظم مزيته وحبه له وقدره إياه حق قدره، مع اختلاف الناس فيه اختلافا لا يليق بقدره وفضله كل ذلك أبى عليه إلا أن يقف موقفا يليق به وبمنزلته، قضاء للواجب، وإرضاء للنفس، فألف هذا الكتاب القيم ليكون العمدة في صناعة الشعر ونقده، ثم إنه وجدها فرصة ميمونة أن يرفعه إلى رئيسه العالم الأديب الشاعر، فأهداه إلى أبي الحسن علي بن الرجال الشيباني رئيس ديوان الإنشاء والمراسلات في دولة المعز بن باديس، قال:"ولم أسم كتابي هذا باسم السيد لأكون كجالب التمر إلى هجر،

[1] ـ العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده: 11/1

[2] ـ نفسه: 16/1

ومهدي الوشي إلى عدن، ولكن تزينا باسمه الشريف، وذكره الطيب، واستسلاما بين يدي علمه الطائل وأدبه الكامل"[1]

إضافة إلى تقدير ابن رشيق وحبه للشعر وتقديره وجدها فرصة ليقدم كتابه العمدة في صناعة الشعر للرجل الذي يقدره وهو رئيسه أبي الحسن علي بن الرجال الشيباني.

وختم ابن رشيق الكتاب بقوله:" وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه، ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها:

إن الذي صاغت يدي وفمي وجـــرى لساني فيه أو قلمي.

مـما عنيت لسبك خالصه واخترته من جوهر الكلم

لم أهده إلا لتكـــسوه ذكرا تجدده على القـــدم

لسنا نزيدك فضل معرفة لكنهن مصائد الـــكرم

فأقبل هدية من أشدت ونسخت عنه آية العدم

لا تحسب الدنيا أبا حسنٍ تأتي بمثلك فائق الهم[2]

جاء ابن رشيق بهذه الأبيات هدية للرجل الذي يقدّره ويحبه ويبين فضله من خلالها.

4 . القيمة العلمية للكتاب:

كتاب العمدة جمع فيه مؤلّفُه بين مباحث البلاغة ومباحث النقد الأدبي مع أشياء في تاريخ الأدب. قال عنه ابن خلدون:" وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة . يعني النقد . وإعطاء حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده ولا مثله"[3]

وأشاد الدكتور بشير خلدون بكتاب العمدة، وتحدث عنه في أكثر من موضع من كتابه، فهو يرى في العمدة تتويجا لجهود العلماء والنقاد في المشرق والمغرب؛ فهو بداية النضج للحركة النقدية في الشمول والعمق، كما يرى في ابن رشيق ناقدا ناضجا واضح الشخصية، يتدخل ويُعطي رأيه فيما يورده من آراء وأقوال يقول الدكتور بشير:" ...ويأتي كتابه العمدة في صناعة الشعر ونقده، أو في محاسن الشعر وآدابه تتويجا لجهود الأدباء والعلماء والنقاد في المغرب والمشرق على حد سواء"[4]

---

[1] ـ البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة: محمد بن سليمان بن ناصر الصقيل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط 1 2004م ص 73

[2] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 317/2

[3] ـ المقدمة: ابن خلدون، دار الرائد العربي، ط5، 1402هـ، 1982م، ص 574

[4] ـ الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي: بشير خلدون، وزارة الثقافة، الجزائر، دط، 2007م، ص 105

ويضع الأستاذ عاشور كتاب العمدة رائد النقد والتوجيه والتأصيل بين كتب نقد الشعر؛ وذلك حين يقول:"...كما نجد أنفسنا في كتب نقد الشعر بين نقد وتوجيه وتأصيل كالذي في كتاب ابن رشيق ونقد مقارنة كالذي في كتاب الموازنة"[1]

ونجد الأستاذ محمد الحبيب الخوجة محقق كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني الذي درس الكتاب دراسة وافية يقول فيه:"...وما من شك في كون حازم قد عرف معرفة دقيقة عمدة ابن رشيق...وإن لم يسمّها أو أغفل ذكر صاحبها، فقد كانت أفخم وأتمّ ما صنّف في علم الشعر لذلك العهد"[2]

وتحدث الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور هو الآخر عن كتاب العمدة أثناء تقديمه لكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء بتحقيق الأستاذ محمد الحبيب ابن خوجة، ونوّه الأستاذ عاشور بالعمدة، وأشاد بصاحبه إشادة العارف بحقه وبمنزلته في المجال النقدي قال:" وكنت كلما أردت أن أرجع بموضوع من كتاب حازم إلى كتاب من كتب الأدب المشهورة: المثل السائر لابن الأثير، أو نقد الشعر لقدامة، أو العمدة لابن رشيق، أدركت اختلافا بيّنا بين ما لحازم في تناول الموضوع وعرضه وتأصيله، وما لغيره من رجال النقد الآخرين ممن سبقه أو من لحقه"[3]

ويتحدث أحمد أمين عن حركة النقد الأدبي في المغرب، فيذكر أنها بدأت متناثرة في كتب الأدب لديهم ثم ارتقت حتى استقلت حركة واضحة المعالم إلى أن توّجت بكتاب العمدة، وفي ذلك يقول:" وظهرت في المغرب حركة جيدة في النقد الأدبي، وردت أول الأمر نتفا في كتب الأدب عندهم...ثم ارتقى هذا حتى صار موضوعا قائما بنفسه، وتوجت هذه الحركة بكتاب العمدة لابن رشيق"[4]

ويقول عبد العزيز عتيق:" ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب (العمدة) الذي جمع فيه بين مباحث البلاغة ومباحث النقد الأدبي مع أشياء في تاريخ الأدب"[5]

ولا ريب أنّ هذا الكتاب رسم معالمه ابن رشيق من معرفته بكتب غيره:"فقد ألمّ بكثير من كتب القدماء كطبقات الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، كما قرأ بديع ابن المعتز، وعيار الشعر لابن

---

[1] ـ المصطلح النقدي عند ابن رشيق القيرواني ـ كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ رشيدة برجة، جامعة العربي بن مهيدي،أم البواقي، 1433 - 1434هـ، 2012 - 2013م، ص 67

[2] ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ط 3، 1966م، ص8

[3] ـ نفسه: ص 116

[4] ـ ظهر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، ط3، 1962م، 1/ 306

[5] ـ في النقد الأدبي: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1972م، ص 286

طباطبا، وتعرّف على نقد الشعر لقدامة بن جعفر، كما قرأ نكت الإعجاز للرماني والموازنة للآمدي والوساطة للقاضي الجرجاني"[1]

5 . محتوى الكتاب:

قسم ابن رشيق القيرواني كتابه إلى قسمين كبيرين، **أحدهما** دراسة عامة حول الشعر وفنونه وموضوعاته؛ وهذا القسم يصحّ أن نقول إنه يعرض للشعر من حيث إنه علم، وإنه ديوان العرب، ومجلي آثارهم. وتراه يعرض في هذا القسم فضائل الشعر، ويدافع عنه وعن الشعراء عامة، وعما قيل عن حملة القرآن على الشعر والشعراء، فيروي الأحاديث والأخبار النبوية، وأقوال الصحابة وفضلاء العرب والمسلمين في فضله وتقديمه، ثم يخلص من هذا إلى أثر الشعر في الحياة، ومكانة الشعراء في الجاهلية والإسلام، وما كان من الأحداث الجليلة التي اتصلت به، وما كان للعرب من الأيام التي لعب فيها الشعراء أدوار البطولة، ثم من كان منهم من السادة والقادة، ومن قال الشعر من الخلفاء، ثم يحدثنا عن آثار الشعر في النفوس من استنهاضة الهمم، واحتماء القبائل به، وذودها الأعداء، والتفاؤل، وعلى جملة ما له من المنافع في أصحابه والمضار لأعدائهم.

ويحدثنا بعدئذ عن الشعراء قدماء ومحدثين، وخصائص شعر كل منهم، وعن الطبع والصنعة وعن المقلين والمكثرين من الشعراء، وفي موضوعات الشعر يحدثنا عن أقسامه التي تعوّد علماؤه تقسيمه إليها كالمديح، والهجاء، والعتاب، والوصف، والرثاء.[2]

وأما **القسم الثاني** من الكتاب فيتعلق بفن الشعر من حيث بنائه، وألفاظه، وأساليبه ومعانيه، وأوزانه وقوافيه، ويبين لنا في هذا الباب آراء بعض الناقدين والأدباء أمثال قدامة والآمدي وابن وكيع والرماني وعبد الكريم النهشلي والقزاز، ويفصل القول في البديع وأقسامه، والسرقات وأبوابها، ويختم الكتاب بباب لاحق تحدث فيه عن أيام العرب.[3]

ومن الأبواب التي خصها في كتابه نذكر:[4]

. باب في فضل الشعر.

. باب في الشعراء والشعر.

. باب في حد الشعر وبنيته.

. باب من رفعه الشعر ومن وضعه.

---

[1] ـ تاريخ النقد الأدبي: محمد زغلول سلام، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، دط، 1993م، 2/ 131

[2] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده الجزء الأول

[3] ـ نفسه الجزء الثاني

[4] ـ نفسه: 1/ 22 - 121

. باب في آداب الشاعر.

. باب المطبوع والمصنوع.

. موضوعات الشعر.

6 . القضايا النقدية التي أثارها ابن رشيق في كتابه العمدة:

من القضايا التي أثارها ابن رشيق في كتابه العمدة، نذكر: قضية الألفاظ والمعاني، قضية القديم والجديد، وقضية السرقات الأدبية.

أ . قضية الألفاظ والمعاني:

قضية اللفظ والمعنى من الموضوعات التي اهتم بها النقاد العرب بصفة خاصة، وابن رشيق عقد بابا مستقلا سماه(باب في اللفظ والمعنى)، أورد من خلاله رأيا فقال:" اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته. فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر، وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا ولا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع... وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى؛ لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة"[1]

. قضية القديم والجديد:

يقصد بلفظ القديم الأدب العربي بصفة عامة والشعر بصفة خاصة الذي قيل طيلة العهد الجاهلي والإسلامي والأموي، وهو التراث الذي أجمع النقاد على صحة الاحتجاج به، أما مصطلح الحديث أو الجديد فهو الشعر الذي بدأ مع قيام الدولة العباسية، واستمرّ في ما بعد عهودا طويلة، بدأ مع بشار بن برد رأس الشعراء المولدين، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، واستمر مع المتنبي والمعري. وفي كتاب العمدة خصّ ابن رشيق القدماء والمحدثين بباب كامل مما قال فيه:" كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعدّ الشعر إلا ما كان للمتقدمين...وغنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء

[1] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:124/1

فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزيّنه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على هذا وإن خشن"[1]

وعليه فإنّ نظرته لا تختلف عن آراء النقاد المتميزين من أمثال ابن سلام وابن قتيبة وعبد الكريم النهشلي فلقد آمن بالتسوية بين الشعر القديم والشعر الحديث، لكن الحكم للأجود منهما" فهو لم يتعصب للقديم لقدمه، كما لم ينتصر للجديد لجدته، وإنما العبرة عنده للأجود منهما وهو الأثر الفني الذي يضمن خلوده واستمراريته"[2]

. قضية السرقات الأدبية:

السرقة في معناها اللغوي هي اختلاس ما للآخرين، وفي الاصطلاح الأدبي هو أن يعمد الشاعر إلى أبيات شاعر آخر فيسرق معانيها أو ألفاظها، وقد يأخذ اللفظ والمعنى على حد سواء ثم ينسب ذلك لنفسه وهذا الموضوع شغل حيزا كبيرا من اهتمام العرب منذ قامت المعارك الأدبية.

وابن رشيق تناول بالبحث والدراسة السرقات فعقد لها في كتابه(العمدة) بابا خاصا بعنوان(باب السرقات وما شاكلها) قال فيه:" وهذا باب متسع جدا لا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وآخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل"[3]

ولعل ابن رشيق أكثر العلماء تتبعا للمصطلحات الخاصة بأنواع السرقات وحصرها وتحديد مفهوم كل منها، نذكر منها: [4]

. الاصطراف والانتحال: وهو" ان يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه، فإن صرفه إليه على جهل المثل فهو اجتلاب واستلحاق، وإن ادعاه فهو انتحال"[5]

. الاهتدام: وهو أن يأخذ الشاعر بعض معنى البيت دون لفظه ويهتدم باقي البيت وذلك كقول النجاشي:

وكنت كذي رجلين: رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

فأخذ كثير القسم الأول واهتدم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ فقال:

وكنت كذي رجلين: رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

. الالتقاط: وهو أن يؤلف الشاعر بيته من عدة أبيات كأن يأخذ أوله من بيت ووسطه من بيت آخر وعجزه من بيت ثالث، ومن ذلك قول يزيد بن الطثرية:

---

[1] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:150/1
[2] ـ نفسه:95/1
[3] ـ نفسه:279/2
[4] ـ نفسه:280/2
[5] ـ نفسه:281/2

إذا ما رآني مقبلا غض طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فقد أخذ أوله من قول جميل:

إذا ما رأوني طالعا من ثنية يقولون: من هذا؟ وقد عرفوني

واخذ وسطه من قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأخذ عجزه من قول عنترة:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدور

إنّ السرقة كما قال ابن رشيق لا يستطيع أيّ شاعر أن يدّعي السلامة منها، ولكن قيمة المسروق تظهر في قدرة المقتبس على الاقتباس والتصرف وبخاصة في المعاني التي هي المحور الأساسي الذي تدور حوله السرقة.

رابعا: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

1 . التعريف بالكاتب:

هو إمام البلاغيين و" شيخ العربية، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني"[1] الفارسي الأصل، الجرجاني الدار.[2]

أما عن حياته العلمية فيخبرنا المؤرخون أنه"أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه"[3]

ويبدو أنه كان قد أعطي قدرة هائلة على القراءة والاطلاع، وتوفيقا تاما على الفهم في العلم، والتذوق للنصوص، والتعمق في كثير من الفنون؛ ذلك لأنهم يذكرون . فيما يذكرون من فنون العلم التي كان الإمام بارعا فيها . أنه كان فقيها شافعيا،[4] وعالما أشعريا،[5] مع السكوت التام عن ذكر شيخ له في تلك العلوم والمعارف؛ بل قالوا: إنه لم يأخذ عن غير ابن أخت أبي علي الفارسي؛ لأنه لم يخرج عن بلده"[6]

---

[1] ـ سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط7، دت، 432/18

[2] ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1442هـ،2004م، 188/2

[3] ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة: 188/2

[4] ـ طبقات الشافعية الكبرى: التاج السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،دط، دت، 149/5

[5] ـ سير أعلام النبلاء433/18

[6] ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1499هـ، 1979م، 106/2

والإمام عبد القاهر نحوي من الطراز الأول قبل أن يكون إمام البلاغيين؛ لذا كاد وصفه بالنحوي يكون إجماعا من المؤرخين الذين ترجموا له؛ فهو (النحوي المشهور)[1] وهو(الإمام النحوي العلامة)[2] وهو(الجرجاني أبو بكر النحوي)[3] وهو(النحوي المتكلم على مذهب الأشعري، الفقيه على مذهب الشافعي)،[4] وهو(الجرجاني النحوي)[5] الذي(كان آية في النحو)[6]

وإنّ نظرة عاجلة على مصنفاته التي ذكروها لتُرينا ـ أيضا ـ أنّ أغلبها كان في النحو، فمن ذلك كتاب(المغني في شرح الإيضاح في نحو ثلاثين مجلدا، وكتاب المقتصد في شرح الإيضاح أيضا ـ ثلاثة مجلدات ـ وكتاب إعجاز القرآن الكبير، وإعجاز القرآن الصغير، والعوامل المائة، والمفتاح، وشرح الفاتحة، والعمدة في التصريف، وكتاب الجمل، المختصر المشهور، وكتاب التلخيص في شرح هذا الجمل)[7] بالإضافة إلى كتابي: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

والإمام عبد القاهر كان ذا نسك ودين، مع الورع والسكون، واختلفوا في سنة وفاته، فقيل:471هـ، وقيل: 474هـ.[8]

2 ـ سبب تأليف الكتاب:

كتاب دلائل الإعجاز ترجم فيه الجرجاني منهجه الفلسفي في النحو متجاوزا ما عرف عند سابقيه من دور النحو في معرفة الخطأ والصواب، إلى دوره في الكشف عن تلك العوالم الخفية، والتي تنتظر من يبرز جمالها، ويكشف سحرها، هدفه في ذلك تحرير النحو من النظرة الخاطئة التي جعلت منه قواعد صارمة، وأحكاما جامدة، ليرتبط بالمعنى؛ بل وكشف عن معنى المعنى ليلحق الجرجاني في عالم الإبداع وفي عالم المعاني دافعه في ذلك إثبات سر إعجاز القرآن، ورغم استعانته ببعض الأفكار لسابقيه إلا أنه استطاع أن يضيف ويُبدع بعد محطات متنوعة ركب فيها البلاغة والنحو واللغة، فكان الفتح بنظرية النظم التي بسط لها وحلل وشرح وعلل، وافتك مكانة مرموقة عن طريق قطفه لثمرة النحو المتمثلة في تجاوزه ظاهرة الوقوف عند علة رفع الفاعل ونصب المفعول، إلى الكشف عن دور النحو في إبراز المعاني، والتي لا تتحقق إلا داخل

---

[1] ـ فوات الوفيات: الكتبي، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، دط، دت، 612/1
[2] ـ مرآة الجنان، اليافعي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط2، دت، 101/3
[3] ـ شذرات الذهب: العماد الحنبلي، المكتب التجاري، بيروت، دط، دت، 340/3
[4] ـ طبقات الشافعية الكبرى:5/ 149
[5] ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:106/2
[6] ـ سير أعلام النبلاء433/18
[7] ـ طبقات الشافعية الكبرى:150/5
[8] ـ نفسه: 5/ 149 وينظر: سير أعلام البنلاء18/ 433

النظم. فالهدف لم يكن دراسة النحو للنحو؛ولكن الهدف توظيف النحو لخدمة النظم، هذا النظم أعاد إليه الجرجاني إعجاز القرآن.[1]

يقول عبد القاهر الجرجاني:" ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى(الفصاحة) و(البلاغة) و(البيان) و(البراعة) وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخَبِيءِ ليُطلب، وموضعِ الدّفين ليُبحث عنه فيُخرجَ، وكما يفتح لك الطريقُ إلى المطلوب لتسلكه، وتوضَع لك القاعدة لتُبنى عليها، ووجدتُ المعوّل على أن ههنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا، وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضُل هناك النظم النظمَ، والتأليفُ التأليفَ، والنسجُ النسجَ، والصياغةُ الصياغةَ، ثم يعظُم الفضلُ، وتكثرُ المزيّة، حتى يفوق الشيء نظيرَه والمجانسَ له درجاتٍ كثيرةٍ، وحتى تتفاوت القيمُ التفاوُت الشديد، كذلك يفضلُ بعض الكلام بعضا، ويتقدّمَ منه الشيءُ الشيءَ، ثم يزداد فضلُهُ ذلك ويترقى منزلةً فوق منزلةٍ، ويعلو مرقبا بعد مرقبٍ، ويُستأنفُ له غاية بعد غايةٍ، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماعُ، وتحْسرُ الظنون، وتسقطُ القُوى، وتستوي الأقدام في العَجْزِ"[2]

3 . قضايا ناقشها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز:

أ . قضية اللفظ والمعنى:

انتهت كل تلك الآراء والاتجاهات في قضية اللفظ والمعنى إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني، فألقى عليها نظره، وأعمل فكره، وصال وجال، وأضاف فأحسن، وجدد فأجاد" وكان المجلي في هذا الميدان"[3]

فقد أضاف إلى هذه القضية إضافات كانت وما زالت محطّ أنظار الباحثين، وموضع إعجابهم.[4]

ب . الصياغة والنظم:

نظر الإمام عبد القاهر في كل تلك الآراء التي انتهت إليه نظرة عالم ومفكر، ووضعها في معيار العلم الصحيح، بما له من لطافة حس، ورهافة ذوق، ورجاحة عقل، فاستخلص زبدتها، وكون منها فكرة النظم التي سارت بها الركبان، وتلقفها الباحثون يدرسونها معجبين بها وبصاحبها.

---

[1] ـ مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية: من مقال بعنوان: جذور اللسانيات في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مليكة النوي، باتنة، الجزائر، العدد 17، ديسمبر2007م، ص 152 وينظر: محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 154

[2] ـ كتاب دلائل الإعجاز: تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دط، دت، ص 34 - 35

[3] ـ النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، مطابع نهضة مصر، دط، دت، ص 255

[4] ـ دلائل الإعجاز: ص 365 - 481

وقد أطلقوا عليها اسم (النظرية) حتى صار لا يذكر الإمام عبد القاهر إلا وتُذكر معه(نظرية النظم)، ولا يقال(نظرية النظم) إلا ويقال معها: الإمام عبد القاهر؛ الأمر الذي جعل بعضهم يلجأ إلى القول:" إنّ عبد القاهر لم يعبر الحياة كما عبرها الآخرون دون أن يضعوا نظرية"[1]

إنّ فكرة النظم عند الإمام عبد القاهر هي خلاصة قضية اللفظ والمعنى، التي طالما ثار الجدال والنقاش حولها؛ ولذلك كان ظهور هذه الفكرة إيذانا بالقضاء المبرم على ثنائية اللفظ والمعنى، ومحوها وإزالتها.

حقا" إنّ فكرة النظم هي جماع آراء عبد القاهر اللغوية والبلاغية، وأساسها نظرته إلى اللغة والشعر والنحو، ووسيلة إبراز خصائصها ودقائقها منهجه اللغوي الذي يُعدّ أهمّ ما نعتز به في تراثنا العربي"[2]

يقول الجرجاني:" ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف. وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"[3]

وكون نظم الكلام وصياغته ليس سوى معاني النحو هو ما ظل الإمام عبد القاهر يؤكده بين الحين والآخر كي يرسخ في النفوس، ويعلق بالأذهان.

بيد أنه لا يدع الأمور هكذا كلاما يُطلق دون شرح وتفسير، ودون تحليل وتعليل، فليس ذلك دأبه، ولا تلك هي عادته، ولذلك نجده يقول:"واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعلق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس

وإذا كان كذلك، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعلِ الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه، وما محصوله؟وإذا نظرنا في ذلك، علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمِد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمِد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا، فتُدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمّنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس"[4]

---

[1] ـ نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني: وليد محمد مراد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م، ص11

[2] ـ الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: أحمد علي دهمان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط2، 2000م، ص 101

[3] ـ مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة،القاهرة، دط، 1418هـ، 1998م، ص4

[4] ـ دلائل الإعجاز: ص55

وهكذا تجده يفصل النظم تفصيلا عجيبا حيث يُدخله في أبواب النحو كلها، حتى ليصح القول:إنّ النظم هو عبارة عن زبدة النحو وخلاصته الصافية عند الإمام عبد القاهر.

خامسا: منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني

تمهيد:

يعدّ حازم القرطاجني واحدا من أهمّ أعلام الفكر العربي في القرن السابع الهجري الذين استطاعوا النفوذ إلى قوانين الشعر المطلقة وتطبيقها على الشعر العربي في كتابه(منهاج البلغاء وسراج الأدباء).

1 . التعريف بالكاتب:

ولد أبو الحسن القرطاجني سنة 608هـ، 1211م بقرطاجنة، واشتهر بنسبته إلى مسقط رأسه حتى عرف بالقرطاجني.

حفظ القرآن وتخرج في قراءته على شيوخ جلة من قراء بلده، وأقبل مثل معاصريه ابن الآبار والمخزومي على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، واكتملت عناصر ثقافته فكان فقيها مالكي المذهب كوالده، نحويا بصريا كعامة علماء الأندلس.

فارق القرطاجني وطنه ومسقط رأسه مهاجرا إلى المغرب، كانت حياته حافلة بالأدب والعلم، زاخرة بالنشاط الفكري في كل مكان حل به من بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية، وقد عمّر حازم وكانت وفاته ليلة السبت 24 رمضان 684هـ، 23 نوفمبر 1385م عن ست وسبعين سنة قضاها في البحث والدرس.[1]

2 . مصنفات حازم القرطاجني:

تنقسم مصنفات حازم أقساما ثلاثة متباينة الموضوع: قسم منها منها أدبي يتمثل في نظم حازم وما أمكن جمعه أو الوقوف عليه من أشعاره، وقسمان علميان أولهما في النحو وثانيهما في البلاغة والنقد.

. القسم الأدبي: ويشمل الآثار الشعرية.

. القسم العلمي: ويشمل الآثار النحوية.

. القسم العلمي: ويشمل الآثار البلاغية والنقدية.[2]

محتوى وأقسام الكتاب:

الكتاب مقسمٌ على أربعة أقسام،**الأول**:مفقود، والثاني:**في المعاني**، والثالث: **في المباني**، **والرابع**:

[1] ـ مجلة الدراسات اللغوية والأدبية من مقال بعنوان: نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني ـ كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء نموذجا ـ حبيب الله علي إبراهيم علي، العدد2،ديسمبر2012م، ص3 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، عبد المالك قرل، ص 41

[2] ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط 3، 1986م، ص 73 - 87 - 89

في الأسلوب[1].

القسم الأول من الكتاب قد بُتِرَ، ويحتمل أن حازمًا القرطاجني قد تناول فيه بالبحث: القول وأجزاءه، والأداء وطرقه، والأثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام، أما باقي الأقسام الثلاثة المثبتة في الكتاب فكلها تبحث في صناعة الشعر على العموم، وعلى الوجه الذي يراه المؤلف في عصره، ويتناول حازم بهذا الكتاب درس موضوع الشعر، وطريقة نظمه، ونجده يتعمق في ذلك في القسم الثاني والثالث والرابع من المنهاج ببحث المعاني والمباني والأسلوب.

وقد جرَتْ عادة حازم في الكتاب كله على تقسيم كل قسم إلى أربعة أبواب أو فصول، سماها مناهج، وكل منهج من هذه المناهج يحتوي على عدة مباحث، فضَّل تسميتها بالمعارف تارة، وبالمعالم تارة أخرى، ويبدو تأثر حازم في هذا التقسيم بالمنطق الأرسطي اليوناني واضحًا، ولم يكن حازم المتشبع بالثقافة الغربية من جهة والعربية من جهة أخرى لتغيبَ عنه أهميةُ وضرورة تذييل هذه المباحث جميعها بملاحظات بلاغية، تكون بمثابة الخلاصة الختامية لجُلِّ الفصول؛ حتى يتدرج في وضع أفكارِه والقارئُ على تمثُّل ووعي جيدينِ لهذه الأفكار.

يعتبر القسم الثاني **المخصص للمعاني** أولَ أقسام الكتاب المثبتة بين دفتيه، وقد تناوَل فيه حازمٌ البحثَ عن المعاني، والغرض من وراء هذا البحث هو بيانُ ما ترتكز عليهما الصنعتانِ الخطابية والشعرية، وما يحتاج إليه فيهما من أساليب وأذواق، مرجعها علم البيان وعلم البديع، وهذا الدرس للمعاني، كما يعرضه علينا حازم، عظيمُ الأهمية لمعرفة الصناعة الشعرية، وبه تظهرُ أصالتُه في ميدانيَ البلاغة والشعر.

وقد ابتدأ الحديث في المنهج الأول من هذا القسم بتحديد **ماهية المعاني**، وأنحاء وجودها ومواقعها، لينتقل بعد ذلك للحديث عن طرق اجتلاب المعاني، وكيفية التئامها، وبناء بعضها على بعض حتى توافق النفوس إلا أنه ربط حصول هذه الغاية بمدى قوة معرفة الشاعر العميقة، التي هي في نفس الوقت معيارُ حصول ملَكة الشعر عند المقبل على هذه الصناعة؛ بل يذهب إلى أبعدَ من هذا الحد حين يقرُّ بأن الجودة في العمل الشِّعري تتحدد في توفر ثلاث قوى، هي: القوة المائزة، والقوة الحافظة، والقوة الصانعة، موضحًا عمل قوة من هذه القوى، ومكان اشتغال كل واحدة منها.

أما في جانب الاستدلالات وأنواعها في الشعر العربي، فإن الحديث عن هذا الجانب قاده إلى عَقْد نوعين من المقارنة: الأولى بين الشعر العربي والإغريقي، لينتهي إلى أن الشعر العربي يفضُلُ الشعر اليوناني في غرض

[1] ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص 95 وما بعدها وينظر: تقرير حول كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، عمر أسراطي، 27 أكتوبر 2016م، نقلا عن موقع: https://www.alukah.net/culture/0/108976/%D8%AA%D9%8

الوصف، وفي وجوه كثيرة من الصناعة، والثانية بين فنينِ من فنون القول، وعِلمين من العلوم الأدبية، ألا وهما الشعر والخطابة، مستفيدًا من كتابَيْ فن الشعر وفن الخطابة لأرسطو؛ حيث انتهى به البحث إلى الوقوف على أنحاء النظر في كلتا الصناعتين، سواء من جهة ما تقوم عليه كلُّ صناعة منهما، أو من حيث الغاية التي تصبو لها كل واحدة منهما.

فالشِّعرية عند حازم تعني فن الشعر، في مقابل الخطابية التي تعني فن الخطابة، وهو هنا إنما سار على نهج أرسطو في التمييز بين الشعر والخطابة من خلال كتابيه" فن الشعر"وفن الخطابة.

وبالعودة للمقارنة بين الخطابة والشعر يمكن القول: إن الشعر خطابٌ تخييلي؛ لأنه قائم بالأساس على التخييل، وبالتالي فهو أقرب إلى الكذب منه إلى الصدق، وهذا لا يعني أن الشعر كله كذب، ولكن مقارنة مع الخطابة التي تعتبر خطابًا تداوليًّا قائمًا على الإقناع، يبقى الشعر أقرب منها إلى الكذب، وهي أقرب منه إلى الصدق؛ ولذلك يمكن القول: إن الشعر كذب يحتمل الصدق، وإن الخطابة – في المقابل – صدق يحتمل الكذب.

وبما أن الكتاب يدور في مجمله على الشعر وصناعته، فإننا نجد حازمًا سرعان ما يرجع إلى الحديث عنه لأن الحديث عن الخطابة إنما كان على سبيل المقارنة بالشعر، أما الجانب الذي انصرف إليه حازم بعد ذلك فكان هو الحديث عن **دوافع الكتابة الشعرية**، التي هي الأخرى كان متأثرًا فيها بأرسطو، كما أشار إلى فضل الشعر على سائر الفنون الأدبية... ليختتم **قسم المعاني** بالحديث – في المنهج الرابع – عن أصول النظريات البلاغية، وطرق تطبيق القواعد الراجعة إليها في صوغ الكلام على نحو ما تقتضيه وجوه تأدية المعاني"، هذه المعاني التي يتوقف وضوحها على مدى ارتباطها، وحُسن تناسقها ببعضها البعض، كما يتوقَّف فهمها على العودة إلى صناعةٍ ما أو قصة ما والعلم بهما، ليتلو ذلك بالحديث عن المعاني القديمة المشتركة، التي تكون في الغالب غيرَ عسيرة على الأفهام، والمعاني الجديدة المبتكرة والمخترعة مشيرًا إلى تفاضل الشعراء في هذه المعاني، وما يثيره هذا التفاضل من قضايا نقدية مِن قبيل السرقات الشعرية.

أما القسم الثالث من الكتاب، الذي خصه حازمٌ للحديث عن **مباني هذه المعاني** التي فرغ من الحديث عنها آنفًا، فإننا نجده – كما جرت عادته – يقسمه إلى أربعة مناهج، وكل منهج يضم عدة معالمَ ومعارفَ..

وقد استهلَّ حديثه في هذا القسم بالتكلم عن النظم الشعري، موضحًا ما يجب توفرُه في الصناعة النظمية التي تقوم مباني النظم عليها، والانعكاس على النفوس الذي تخلفه، وغيرَ بعيد عن مجال الشعر، انتقل بعد ذلك للحديث عن الطرق والسبل التي يسلكها الشعراء في النظم على اختلاف مراتبهم ومقياس فحولتهم

إلا أننا نجده لا يتوقف عند حدود الوصف والسرد لمختلف أضرُبِ الشعراء في كيفية النظم، وإنما اتجه إلى وضع مراحل ومعينات من شأنها أن تسعف المقبِل على هذه الصناعة في الوصول إلى مطلبه وبلوغ غايته، حيث يقف عند الكيفية التي يجب نظمُ الشعر على شاكلتها. وحتى لا يكون الأمر شاقًّا على المقبل على النظم يضع حازم بين يديه ما يجنِّبه الغلط، ويختصر عليه الكثير من الجهد، مثل تحديد أعاريض الشعر، وما تصلح له في نظم الشعر من الموضوعات حسب الطول والقصر الذي تتصف به كل عروض، إضافة إلى تركيزه – أعني حازمًا – على ضرورة العناية بالمطْلع وإخراجه في صورة مستحسنة؛ لأن صدر الكلام أول ما يقرع الأذن، وعليه يتوقف إقبالُ أو إعراض السامع عما يلقى بين يديه من الشعر.

ومِن جانب آخرَ يمكن القول: إن هذه المعايير التي حددها حازم في صياغة النظم والكيفية التي يجب أخذه بها، وما يستحسن في الشعر وما يستقبح فيه، كلها تعبر عن رؤية نقدية له، لا شك أنها كانت من بين المعايير التي نقد بها الشعر، وصنَّف – بناءً عليها – الشعراء بين المجيد، ومن دون، ثم الذي يليهما في المرتبة. وبعد امتلاك المقبل على النظم لناصيته ساعتها يمكن أن يرتقي بشعره إلى أسمى المراتب، وأجلِّ الدراجات، وأن يجعل لنفسه أسلوبًا يعرف به، وسمتًا يتبعه فيه... وهذا ما يعرف بين أهل الصناعة بالارتجال، الذي أحسَبُه أعظمَ مرتبة من المروي من الشعر؛ لأنه يعبر عن سرعة البديهة وضبط الصناعة من جميع جوانبها.

وسيرًا على نهج القدامى، أو بالأحرى أغلب القدامى، في تعريف الشعر " بالكلام الموزون المقفَّى الدال على معنى يدرج حازم مسألة الوزن والقافية مرتبطة بالمعاني مباشرة في المنهج الثاني، إلا أن المطَّلع على الكتاب يجد حازمًا قد اشتهر – أكثر من غيره – بفكرة التناسب في الأوزان التي تعني توخي التوازن في بناء أجزاء البحور الشعرية للحصول على الإيقاع الكفيل بتقديم الدلالة أو المعاني على وجهها الصحيح. ولعل هذا الربط بين الوزن والدلالة والبلاغة في مستوى أشمل على اعتبارها علمًا كليًّا، هو أكبر ما انفرد به حازم عن باقي البلاغيين.

أما **القسم الأخير** من الكتابجاء في **الأسلوب**، فقد قسم هو الآخر إلى أربعة مناهج متفاوتة فيما بينها من حيث القِصَر والطول، وكل واحد من هذه المناهج يضم عددًا من المعارف والمعالم، وقد تعرَّض حازم في هذا القسم إلى الطرق الشعرية، ومآخذ الشعراء في كل لون من ألوان النظم، بحسب ما تقتضيه أحوال الكلام؛ حيث نجده يميز بين الشعر الجدي والشعر الهزلي، مع ذِكر خصائصِ كل صنف منهما، وما يصلُحُ لكل صنف منهما من المباني والأغراض.

ولم يكتفِ بالتركيز على ضرورة الموافقة والتناسب بين المعاني والمباني حتى أعقبهما بالأسلوب كعنصر ثالثٍ يشكِّل إلى جانبهما الأثافيَّ الثلاثة التي يقوم الشعر عليها، هذا فيما يخص المنهج الأول، أما المنهج الثاني

فقد تناول فيه – بصفة عامة – مسألة الأغراض الشعرية من مدحٍ ورثاء ونسيب وفخر وهجاء منبهًا إلى ما ينبغي أن يخص به كل لون من أوجه التصرف حتى يبلغ به الغاية، ويتحقق له الإبداع المنشود، أما في المنهجين الآخَرين فقد تناول فيهما الحديثَ عن المفاضلة بين الشعراء، محددًا الشروطَ التي يجب أن تحكم هذه المفاضَلة.

سادسا: أحكام صنعة الكلام للكلاعي

1 . التعريف بالكاتب:

إنه أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي، فقيه وأديب أندلسي عاش بإشبيلية. وقد تضاربت الآراء حول تاريخ ولادته؛ فمحقق كتابه الدكتور(محمد رضوان الداية) يقول:"لا يُعرف تاريخ ولادته ووفاته إلا بالتقريب، فمولده في أوائل القرن السادس أو أواخر القرن الخامس"[1] في حين يرى الدكتور(عمر فروخ) بأنّ مولده كان في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد.[2]

اشتهرت عائلته بالعلم والأدب، ويعرف عنه أنه كان أديبا وشاعرا، كما وقد ساهم في إثراء المكتبة الأندلسية بما جادت به قريحته في مجالات عدة كالفقه، وفنون الأدب من بلاغة ونقد وشعر. وترجم له ابن الأبار في التكملة قائلا:" كان من حلة الكتاب وله كتاب الانتصار ورسالة إحكام صنعة الكلام"[3] توفي سنة 542هـ.

من مؤلفاته نذكر: الساجعة والغريب(عبارة عن رسالة)، السجع السلطاني، خطبة الإصلاح، ثمرة الأدب الانتصار لأبي الطيب، إحكام صنعة الكلام.[4]

2 . سبب تأليف الكتاب:

يتضح من مقدمة الكتاب أنّ الكاتب يوجّهُ حديثه إلى شخص لم يذكره بالاسم، وبقيت حقيقته مجهولة، إلاّ أنه من حواره معه يتبين أنه شخص مبجّل ومحترم وصاحب منزلة رفيعة، ومتشبع بقدر كاف من العلوم وخاصة ما تعلق منها بفنون الكتابة والأساليب النثرية، ويظهر ذلك من الانتقادات التي كان يوجهها للكاتب يقلل فيها من قدراته الأدبية، ويُظهر قصوره وعجزه في مجاراة غيره من كتاب الرسائل والفنون الأدبية. وكان أبو القاسم الكلاعي يردّ على كل انتقاد من طرف هذه الشخصية بلباقة، وبمجهود فني يدحض به مزاعم المقلل من شأنه.

---

[1] ـ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: محمد رضوان الداية، دار النوار، بيروت، ط1، دت، ص401 وينظر: الدرس البلاغي عند أبي القاسم الكلاعي في كتابه"إحكام صنعة الكلام"، عبد الكريم لطفي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تلمسان، 2008م، ص10

[2] ـ الدرس البلاغي عند أبي القاسم الكلاعي في كتابه"إحكام صنعة الكلام"، ص10

[3] ـ التكملة لابن الأبار: نشرة عزة العطار، مصر، 1956م، دط، ص 468 وينظر:الدرس البلاغي عند أبي القاسم الكلاعي في كتابه"إحكام صنعة الكلام"، ص14

[4] ـ ينظر: الدرس البلاغي عند أبي القاسم الكلاعي في كتابه"إحكام صنعة الكلام"، ص 24 - 32

ومثل هذه الانتقادات كانت سببا في تأليف أبي القاسم الكلاعي لكتابه(إحكام صنعة الكلام) حيث جاء ردا على ملاحظة أبداها هذا الشخص، يقلل فيها من شأن الكاتب في مخاطبة كل فئة من المجتمع بما يصلح لها، ويقابلها من الخطاب.[1]

يذكر الكلاعي هذا الانتقاد الموجه إليه في بداية كتابه فيقول:" وأما المجلس الرابع . أعزك الله . فقد شاهدته ورأيته، وسمعت قوله فيه ووعيته، من أني لا أقابل كل طبقة بما يشاكلها من اللفظ ويوافقها، ولا أخاطب كل فرقة بما يشاكلها من المعنى ويطابقها. وأني لا أفرق بين من يَكتب إليه (أدام الله عزك) وبين من يُكتب إليه (أعزك). ولما كان في قوله ردّ شهادتك التي تبرع بها بارع سيادتك، رأيت أن أُصدق حسن انتقادك، وأُحق جميل اعتقادك [ب] هذه الرسالة التي ابتدعتها قالبا يفرغ عليه، واخترعتها إماما يفزع إليه، تحرز ما أنعم الله به على الإنسان من علم البلاغة والبيان"[2]

3 . أهمية الكتاب:

يمكن أن نلخص أهمية كتاب إحكام صنعة الكلام في أربعة أمور هي:[3]

. في الكتاب آراء مختلفة في كثير من أمور النقد والبلاغة، وبعض هذه الآراء خاص بالمؤلف، ومن اختراعه واستنباطه.

. وفيه إشارات إلى ما يعضد فكرة شعور الأندلسيين بتفوقهم وتقدمهم؛ بل مجاراتهم المشارقة ومشاركتهم.

. وفيه إشارات إلى بعض الكتب المشرقية التي كانت متداولة في أيامه، وثبتٌ بكتب المعري وأبي منصور الثعالبي التي وصلت إليهم.

. ونتبين من الكتاب بوضوح ظهور أسلوب المعري في النثر، وظهور طريقة المتنبي في الشعر على غيرهما من أساليب الأندلسيين وطرائقهم.

4 . منهجية الكتاب ومحتواه:

قسم الكلاعي كتابه إلى مقدمة وبابين؛ أما المقدمة فقد عرض فيها لما كان بينه وبين منتقصي فضله وعلمه، وأورد نبذا من نثره الذي ضاهى به أبا العلاء. ثم أورد فصلين: أحدهما عن فضل البيان؛ فتحدث عن معناه واهميته مستشهدا بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ومحتجا بعبارات بعض البلغاء. والفصل الآخر في الترجيح بين المنظوم والمنثور، والكلاعي رجح المنثور ومال إليه.

---

[1] ـ الدرس البلاغي عند أبي القاسم الكلاعي في كتابه"إحكام صنعة الكلام"، ص 36

[2] ـ إحكام صنعة الكلام: أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، 1966م، ص31

[3] ـ نفسه: ص6

ويتعلق الباب الأول بالكتابة وآدابها، وما يتعلق بأسبابها، وهو ينتظم عدة فصول تبحث في رتبة الخط وتسوية البطاقة، والاستفتاح، والدعاء، والسلام، ومكاتبة أهل الكفر وأقسام الخطابة وغير ذلك.

وأما الباب الثاني وهو معظم الكتاب وقسمه الهام فيقول فيه:" وجعلت أبحث عن ضروب الكلام فوجدتها على فصول وأقسام منها: الترسيل، ومنها التوقيع ومنها الخطبة، ومنها الحكم المرتجلة والأمثال المرسلة، ومنها المورّى والمعمّى، ومنها المقامات والحكايات، ومنها التوثيق ومنها التأليف.وتأملت أيضا . أكرمك الله . الأسجاع فوجدتها على ضروب وأنواع، فمنها ما يجب أن يسمى المنقاد، ومنها ما يجب أن يسمى المضارع ومنها ما يجب ان يسمى المشكل. وقد أثبت ما ذكرت من التفصيل والتبويب على التدريج والترتيب"[1]

وهو يحتج في كل فصل من فصول هذا الباب بآثار الأدباء من المشارقة والمغاربة ويشير إلى مواضع الإحسان والإساءة على قلة ويورد لنفسه أحيانا بعض الجمل والعبارات والفِقر، شواهد على تقسيماته وشروحه.[2]

سابعا: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير

1 . التعريف بالكاتب:

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الموصليّ الملقب بضياء الدين. كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها سنة 558هـ، وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل وحصّل العلوم، وحفظ كتاب الله الكريم، وكثير من الأحاديث النبوية، وطرفا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الأشعار.

توفي ابن الأثير سنة 637هـ/1239م في بغداد.

ولابن الأثير الكثير من التصانيف نذكر منها:

. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

. الوشي المرقوم في حل المنظوم.

. المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء.

. المختار من ديوان الترسل.

. الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور.[3]

---

[1] ـ إحكام صنعة الكلام: ص 16

[2] ـ نفسه: ص 17

[3] ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،دط، دت ج1/ من المقدمة.

2 . تعريف الكتاب وأهميته:

يُعدُّ كتاب المثل السائر من أهم أمهات الكتب التي ينبغي لدارس اللغة والأدب الاطلاع عليه؛ لأنه كتاب يشمل آراء ابن الأثير البلاغية والنقدية، وكذا تطلعاته الأدبية الفنية؛ حيث تضمن الكتاب نقدا للعديد من شعراء عصره أمثال: المتنبي، وأبي تمام، والبحتري... وهو كتاب بلاغة؛ حيث قدّم فيه آليات البيان ومصطلحات البلاغة العربية، وأحكم شرح ما تعلق بها من أجناس وفنون، وهو كتاب أدب لأنه أسّس لعلم الأدب بإيراده الآليات والفنون والقوانين الخاصة بفنّ الكتابة سواء ما تعلق بالمنظوم أو المنثور، وقد تعددت موضوعاته.[1]

قسّم ابن الأثير الكتاب إلى مقدمة ومقالتين:

المقدمة تدور حول أصول علم البيان وأدواته وآلاته، وحول الشاعر والكاتب وما يجب أن يتحلّيا به، وهي عشرة فصول:[2]

. في موضوع علم البيان.

. في آلات علم البيان وأدواته.

. في الحكم على المعاني.

. في الترجيح بين المعاني.

. في جوامع الكلم.

. في الحكمة التي هي ضالة المؤمن.

. في الحقيقة والمجاز.

. في الفصاحة والبلاغة.

. في أركان الكتابة.

. في الطريق إلى تعلم الكتابة.

أما المقالة الأولى: ففي الصناعة اللفظية وهي على قسمين: الأولى في اللفظة المفردة، والثانية في الألفاظ المركبة. فتتناول أنواع البديع اللفظي(السجع، الجناس، ولزوم ما لا يلزم، والمغالطة اللفظية)

[1] ـ محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 159

[2] ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 1/ 6 - 76

والمقالة الثانية: في الصناعة المعنوية كالاستعارة والتشبيه والتجريد، وذكر البلاغة في الخطابة، والجملة الفعلية، والجملة الاسمية، والتخلص والاقتضاب، والتناسب بين المعاني، والتضمين والتوشيح، والسرقات الشعرية.[1]

وهكذا فقد أتى ابن الأثير بما لم يسبقه إليه أحد، لقد وضع علم البلاغة والبيان على طبق من ذهب أما المتلقي معتمدا على حسّه النقدي وذائقته الأدبية ولم يترك شيئا من الصناعة اللفظية أو المعنوية في إطار علم البلاغة إلا وذكره وشرحه وفسره بدُربة متقنة ومنهج واضح الأسس، وإنه بحق أحد علماء عصره الأفذاذ المقتدرين، الذين أسسوا للتراث البلاغي العربي بتمكن كبير.[2]

[1] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 310/1

[2] - حوليات جامعة قالمة للغات والآداب من مقال بعنوان: الأسس والمرتكزات البلاغية عند ضساء الدين بن الأثير - إضاءات في مضامين المثل السائر - زينب دوادي، العدد12، ديسمبر2015م، ص 312 - 314 - 341 وينظر: محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 159 - 160

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم (10): المدونات الحديثة والمعاصرة مؤلفات أحمد أمين - مؤلفات طه حسين - مؤلفات جرجي زيدان وإحسان عباس

تمهيد:

بعد الجولة الواسعة في المؤلفات التراثية ومُؤلفيها سنحط الرحال عند المدونات الحديثة والمعاصرة لنستشف ما جادت به قريحة العلماء المعاصرين من أمثال أحمد أمين، وطه حسين، وجرجي زيدان....

أولا: أحمد أمين

أحمد أمين؛ أستاذ الجيل، وأحد عمالقة الأدب والفكر المعاصرين الذين يعود إليهم الفضل في النهضة الحديثة للأدب العربي، والذين سيظل التاريخ يردد مآثرهم على الثقافة العربية والفكر العربي.

1 . حياته:

ولد أحمد أمين أول أكتوبر سنة 1886م، وكان هذا التاريخ إرهاصا بأنه سيكون مُدرسا، فأول أكتوبر هو عادة هو بدء افتتاح الدراسة[1]"وشاء الله أن أكون كذلك فكنت مدرسا في مدرسة ابتدائية، ثم مدرسة ثانوية ثم في عالية"[2]

دخل أحمد أمين الكتاب، وتنقل في أربعة كتاتيب، ودخل المدرسة الابتدائية ثم التحق بالأزهر، وحضر دروسا في الفقه الحنفي، ودخل سنة 1907م مدرسة القضاء الشرعي واجتاز امتحانها النهائي سنة 1911م، وعُيّن مُدرّسا في مدرسة القضاء وقاضيا في الواحات الخارجية سنة 1913م، وأخذ تعلّم اللغة الإنجليزية.[3]

انتقل إلى رحمة الله في 30 من مايو 1954م بعد عمر طويل بذله في خدمة العلم والأدب والتاريخ تاركا تراثا عقليا وكنزا فكريا لا ينسى.[4]

2 . أدبه:

لقد تشبع أحمد أمين بالثقافة الإسلامية فغرف منها الكثير، وقد ظهرت هذه السمة في كل كتاباته والتي جمع فيها بين التاريخ والأدب والعلم والدين.

---

[1] - موسوعة هذا الرجل من مصر: لمعي المطيعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، دت، 1/ 7 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، قرل عبد المالك، ص 48

[2] - حياتي: أحمد أمين، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 19

[3] - موسوعة هذا الرجل من مصر، ص 12

[4] - مشاهير الشعراء والأدباء: علي مهنا وعلي نعيم خريش، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م، ص 16 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، قرل عبد المالك، ص 48

حيث عالج أحمد أمين الأدب والفكر الفلسفي والتاريخ والاجتماع والقضاء، وحقق ونشر مع جماعة من رجال الفكر عدداً كبيراً من الكتب المشهورة، وكان من بين الذين وجهوا حركة التأليف والنشر في العالم العربي عامة وفي مصر خاصة.[1]

وقد ألم أحمد أمين بالأدب العربي في شتى عصوره كما عالج الأدب المقارن في كتابه «قصة الأدب في العالم» وهكذا كان رجل الصفاء الفكري والشمول التفكيري.[2]

أما فضله على اللغة العربية فقد تجاوز كل الحدود، فأسس"لجنة التأليف والترجمة والنشر" التي قدمت عيون التراث العربي، والفكر الإسلامي القديم والحديث، والتي استمرت في عملها دون توقف قرابة ثلاثة عقود، فتركت للفكر صرحا شامخا نعود إليه عندما تعوزنا الحاجة للعم والثقافة.[3]

3 . المنهج عند أحمد أمين وأسلوبه

لقد عاش أحمد أمين حياته للفكر الخالص يوجه أبناء الأمة نحو الخير والعلم، فكان من كبار مفكري الإسلام، وقد اهتدى منهجه من واقع البيئة التي نشأ بها، والمؤثرات الثقافية التي تعرض لها، وهذا فإنّ منهجه في تناول الفكر الإسلامي والحضاري تأثر بمنبعين:

أولهما: الثقافة الدينية.

ثانيهما: الثقافة العصرية.

فالعقيدة الدينية والإيمان العقلي هما المحور الذي دارت حوله رسالة أحمد أمين الفكرية، فمؤلفاته: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، وهي من أشهر ما كتب في النهضة الإسلامية تقف شامخة بجوار مؤلفاته الأدبية الأخرى.[4]

وهذه المؤلفات عند صدورها عام 1929م قد أثارت الجدل بين المفكرين والأدباء بسبب طريقة ومنهج صاحبها في معالجة الإسلام وقضايا تلك الطريقة التي خالف بها كل من سبقوه في تاريخ حوادث الإسلام. فقد درج سابقوه على نحو ما لاحظ الأستاذ عامر العقاد في كتابه عن أحمد أمين على كتابة التاريخ وأحداثه في حوليات كما نرى الطبري وابن الأثير ومن ضرب ضربهما في التاريخ ، فهي في جملتها مجموعة حوادث يختلط فيها التاريخ الخالص بالأدب والعلم والدين.[5]

---

[1] ـ الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1919م، ص 307

[2] ـ نفسه: ص 308

[3] ـ موسوعة هذا الرجل من مصر: ص 13

[4] ـ أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث: صلاح زكي أحمد، مركز الحضارة العربية، ط1، 2001، ص 120

[5] ـ نفسه: ص 120 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، قرل عبد المالك، ص 49

وعندما شرع أحمد أمين في كتابة تاريخ الإسلام، فإنه التزم في بحثه بثلاثة جوانب رئيسة شاملة، وهذه الجوانب هي: الناحية الاجتماعية، الناحية العلمية، وأخيرا الناحية الدينية.[1]

ويذهب بعض النقاد إلى أنّ أحمد أمين ينحو في كتابته نحو العلماء والمفكرين في تحليل الأشياء وتمحيصها ليخرج منها بالنتائج والغايات، يهمه أن يفيدك قبل أن يطربك ببلاغته، ويعنيه أن تخرج من كتابه مقتديا بنضاله، وفي الحق لم تكن لأحمد أمين فلسفة يهدف إليها من وراء نظريات يبسطها أو مبادئ يقررها، ولكن منحاه في تحليل الأشياء ودرسها في بعض مواطن سيرته ليخرج منها بنتائج، ففي المقدمة من سيرته أراد أن يتفلسف عن وجوده فقال:"ما أنا إلا نتيجة حتمية لكلّ ما مرّ عليّ وعلى آبائي من أحداث فالمادة لا تنعدم، وكذلك المعاني، قد يموت الطير وتموت الحشرات والهوام، ولكنها تتحلل في التراب، فتغذي النبات والأشجار، وقد يتحول النبات والأشجار إلى فحم، ويتحول الفحم إلى نار، وتتحول النار إلى غاز، ولكن لا شيء من ذلك ينعدم من أشعة الشمس التي تكون الغابات، وتنمي الأشجار تختزن في الظلام، فإذا سلطت عليها النار تحولت إلى ضوء وحرارة وعادت سيرتها الأولى"[2]

فإذا شرع في نسج قصّته وسار قدما فيها تحلل من فلسفته العقلية، وتجرد من التفسير والتحليل والتفلسف، ليعود إلى التسليم لمشيئة القدر، ونجد ذلك في مثل قوله:"وهكذا ألا عيبَ القدر، ظُلم صراف البلدة أخرج أبي من سمخراط، وأسكنه القاهرة حيث وُلدت وتعلّمت ولولا ذلك لنشأت فلاحا مع الفلاحين أزرع واقلع ولكن تتوالد الأحداث توالدا عجيبا، فقد ينتج أعظم خير من أعظم شر، كما ينتج أعظم شر من أعظم خير، ولا تستبين الأمور حتى يتم هذا التوالد ويظهر على مسرح الكون"[3]

تعتبر سيرة أحمد أمين من أكمل السير لأنه كتبها عام 1950م وتوفي عام 1954م؛ أي أنه لم يعش فترة طويلة من بعد كتابته لسيرته فلم تطرأ أحداث جديدة في حياته"فهو فيها يميل إلى ذوق المؤرخين أقرب منه إلى ذوق الأدباء مثل طه حسين، فانحدر في الأغلب من تاريخ نفسه إلى تاريخ عصره، ولم يُعنَ بأحداثه بل تحول مؤرخا يسجل، وهو في هذا التسجيل قلّما انفعل بما يرى ويشاهد"[4]

فالمنهج أو الشكل الذي اتبعه أحمد أمين في كتابة سيرته هو المنهج التاريخي، وهو الذي ينهج فيه المؤلف نهج المؤرخ في تتبع سيرة حياته في شكل تصاعدي للأحداث وبحيادية تامة، وكأنه يرصد حياة غيره فيفتقد القارىء البعد الداخلي للأحداث، فالكاتب هنا جاءت سيرته بشكل تصاعدي فقد بدأ الحديث عن طفولته وهذا ما نجده في قوله:"كانت أول مدرسة تعلمت فيها أهم دروسي في الحياة بيتي"[5] كذلك

---

[1] ـ أعلام النهضة العربية في العصر الحديث: ص 121 وينظر: المصادر الأدبية واللغوية، قرل عبد المالك، ص 49

[2] ـ حياتي: ص13

[3] ـ نفسه: ص14

[4] ـ الترجمة الشخصية: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1956م، ص 120 - 121

[5] ـ حياتي: ص16

في قوله:ط في حجرة هذا البيت ولدت وكانت ولادتي في الساعة الخامسة صباحا من أول أكتوبر سنة 1886م"[1] وفي قوله:" عصرتُ ذاكرتي لأذكر أقدم أحداث طفولتي فذكرت منها ثلاثة، أولها أني وأنا في نحو الرابعة من عمري خرجت من حارتي فوجدت بناء وله باب مفتوح فدخلته..."[2]

وبعد حديثه عن الطفولة انتقل للحديث عن شبابه ودخوله عالم الشغل، وكانت أول تجربة له في طنطا كمدرس للغة العربية، فيقول:"...ولو سمع شاب اليوم وسنّه ستة عشر عاما كسنّي أنه سيسافر إلى سنغافورة أو طوكيو ما حمل الهمّ الذي حملت من أجل سفري إلى طنطا فلم أركب القطار في عمري، ولا رأيت الأهرام، ودنياي هي ما بين بيتي والأزهر"[3]

وخلال فترة الطفولة والشباب استطاع أحمد أمين أن يجعل من نفسه مثقفا كما يقول:"وانتهت مرحلة طويلة هي زهرة العمر تقريبا خمسة عشر عاما من سن الشباب بين طالب ومدرس، نلتُ فيها أكثر ثقافتي وجربت فيها أكثر تجاربي في الحياة، وتعلّمت ما استطعت من العلم ومن الناس، ولقيت فيها أكبر الشخصيات التي أثرت في نفسي، وطبعت فيها بطابع لازمني طول حياتي..."[4]

ثم عرّج للحديث عن سن الشيخوخة، والأحداث التي صاحبته في هذه الفترة يقول:" وأحلتُ إلى المعاش بعد أن بلغت سن الستين، وكم كنت أتمنى أن أخرج من وظائف الحكومة وأنا في سن الكهولة لأعمل حرا"[5]

وهكذا جاءت سيرة أحمد أمين متسلسلة، يذكر فيها كل مراحل حياته، ويؤكد هذا الدكتور إحسان عباس بقوله:"والحقيقة أن محمد أمين عاد بالسيرة الذاتية إلى التاريخ وابتعد عن الناحية الفنية التي تجعل من السيرة ينبوعا يتدفق من النفس ويفيض على ما حولها"[6]

4 . مؤلفات أحمد أمين

لقد أثر أحمد أمين المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاته وهي كالأتي:

- **الفكرية.**

فجر الإسلام.

ضحى الإسلام (3 أجزاء).

ظهر الإسلام (4 أجزاء).

---

[1] - حياتي: ص18
[2] - نفسه: ص29
[3] - نفسه: ص74
[4] - نفسه: ص 205
[5] - نفسه: ص 317
[6] - فن السيرة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 149

يوم الإسلام.

الشرق والغرب

- **الأدبية**

فيض الخاطر (10 أجزاء)

النقد الأدبي (جزءان)

إلى ولدي.[1]

- **سيرة ذاتية.**

حي بن يقظان.

زعماء الإصلاح في العصر الحديث.

حياتي.

هارون الرشيد.

- **فلسفة**

كتاب الأخلاق

- **أعمالبالاشتراك**

قصة الفلسفة اليونانية.

قصة الفلسفة الحديثة (جزءان).

قصة الأدب في العالم (4 أجزاء).[2]

ثانيا: طه حسين

1 . التعريف بطه حسين

الدكتور طه حسين من أساطين العلم والأدب في العصر الحديث ولد بصعيد مصر سنة 1889م عام التحق بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وهو في سن مبكرة، فقد بصره وهو طفل، درس في الأزهر ثم في الجامعة المصرية ثم السربون بباريس، ونال أعلى الدرجات العلمية في سنة 1950م، عين أستاذاً في الجامعة المصرية ثم انتدب عميدا ثم مديرا لجامعة الإسكندرية ثم وزيراً للتعليم وتوفاه الله سنة 1973م[3]

[1] ـ في النقد الأدبي: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، ص7

[2] ـ مشاهير الشعراء والأدباء: ص16

[3] ـ الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 336

يعدُّ طه حسين رائدا من رواد التنوير في الثقافة العربية الحديثة لا مصر وحدها ولكن في العالم العربي كله، ولم تنته شهرته عند حدود عالمنا العربي؛ وإنما امتدت إلى الأوساط الثقافية والسياسية في العالم كله كمفكر غطّت شهرته الآفاق المحلية والعربية والعالمية، وظاهرة نادرة من ظواهر القرن العشرين.[1]

وطه حسين لقّب بعميد الأدب العربي لعدة أسباب منها:

. أنه كان رائد النزعة الإنسانية في الفكر العربي، وهو الذي فتح للأدب العربي آفاق عالمية وناضل بقلمه وعلمه، وهو كذلك الذي أنشأ شرعة قيم نقدية جديدة، وهو الذي أنشأ أجمل ترجمة ذاتية عرفها الأدب العربي، وسعى كذلك إلى نشر التراث الكلاسيكي.[2]

. إنّ الذي جعل طه حسين عميد الأدب العربي هو طه حسين نفسه الذي أضاء تاريخ صدر الإسلام بنظرات ولوامع وضاءة، وآثار ومعطيات أدبية عظيمة للتاريخ الإسلامي حين رأى إعادة كتابته على نحو حديث، حتى لا يجعل القارئ العربي يهرب من تاريخه المكتوب بطريقة المتون، وغير ذلك مما جعل طه حسين جديرا بلقب عميد الأدب العربي بدون منازع.[3]

من بين ما قيل عنه قول عباس محمود العقاد:" إنه رجل جريء العقل مفطور على المناجزة والتحدي، فاستطاع بذلك نقل الحراك الثقافي بين القديم والحديث من دائرته الضيقة التي كان عليها إلى مستوى أوسع وأرحب بكثير. وقال عنه إبراهيم مدكور: اعتد تجربة الرأي وتحكيم العقل، استنكر التسليم المطلق، ودعا إلى البحث والتحري؛ بل إلى الشك والمعارضة، وأدخل المنهج النقدي في ميادين لم يكن مسلّما من قبل أن يطبق فيها، وأدخل في الكتابة والتعبير لونا عذبا من الأداء الفني، حاكاه فيه كثير من الكتاب، وأضحى عميد الأدب العربيّ بغير منازع في العالم العربي جميعه، وأنتج له عملا باسم(مسلسل الأيام) قام بدور البطولة أحمد زكي"[4]

2 . مؤلفاته:

لقد قاربت مؤلفاته ستين كتابا، وهي مؤلفات متنوعة جمعت بين الأدب والنقد، والقصص، والروايات، والتاريخ الإسلامي، نذكر منها:[5]

الكتب الفكرية	الكتب النقدية	الكتب الإثرائية
. على هامش السيرة.	. في الشعر الجاهلي.	. المعذبون في الأرض.

[1] ـ طه حسين عميد الأدب العربي: سامح كريم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006م، ص19

[2] ـ نفسه: ص17

[3] ـ نفسه: ص18

[4] ـ محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد: ص 169 نقلا عن: ويكيبيديا: وفاة طه حسينhttps//ar.m.wikipedia.org

[5] ـ نفسه: ص 170 - 171

. الشيخان. . الفتنة الكبرى عثمان. . الفتنة الكبرى علي وبنوه. . مستقبل الثقافة في مصر. . مرآة الإسلام. . فلسفة ابن خلدون الاجتماعية. . نظام الإثنين. . من آثار مصطفى عبد الرزاق. . حديث المساء. . غرابيل.	. في الأدب الجاهلي. . الحياة الأدبية في جزيرة العرب. . فصول في الأدب والنقد. . حديثالأربعاء. . حافظ وشوقي. . صوت أبي العلاء. . مع أبي العلاء في سجنه. . تجديد ذكرى أبي العلاء. . مع المتنبي. . من حديث الشعر والنثر. . من أدبنا المعاصر. . ألوان. . خصام ونقد. . من لغو الصيف. . من الشاطئ الآخر(كتابات طه حسين بالفرنسية) . أدبنا الحديث ما له وما عليه. . صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان. . الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا. . قادة الفكر.	. الأيام. . أحلام شهر زاد. . أديب. . رحلة الربيع. . أيام العمر(رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم) . دعاء الكروان. . شجرة البؤس. . الحب الضائع. . الوعد الحق. . في الصيف. . بين بين. . أحاديث. . جنة الحيوان. . ما وراء النهر. . مدرسة الأزواج. . مرآة الضمير الحديث. . جنة الشوك. . لحظات. . نقد وإصلاح. . من بعيد. . من أدب التمثيل الغربي. . صوت باريس(قصص مترجمة) . من هناك(قصص مترجمة) . أوديب وثيسيوس: من أبطال الأساطير اليونانية. . في مرآة الصحفي. . مذكرات طه حسين.

3 . أسلوب طه حسين في النثر الفني

منهج طه حسين الذي يصطنعه في بحثه والذي سار على ضوئه في دراسة الشعر الجاهلي منهج (ديكارتي) نسبة إلى ديكارت الذي شغف طه حسين بفلسفته وتأثر بها.[1]

ولعل أبرز صفة تحلى بها طه حسين هي أنه كان ناقدا، وكان النقد مرافقه منذ البداية، وظل ملازما له خلال مراحل حياته، وهو كان تجريبيا في نقده، يتوسل آراءه التجديدية من معين التاريخ الأدبي الأوربي، وفي كل ما كتب كان يبشر بالحرية وكان متأثر بالمناخ الأوربي، وهو يدمج الموضوعي والذاتي.[2]

ويظهر مدى تأثره بالتاريخ الأدبي الأوربي في أنّ الفكر الفرنسي كان بالنسبة إليه أكثر من مدرسة ومعين، كان جزء من حياته، وجزءا من إنتاجه حتى تكاد تحسب من خلال قراءة ما كتبه عن فرنسا وعن أدباء فرنسا.[3]

وعن تاريخ فرنسا ما يقنعك بأنّ هذا الأثر لا ينتجه إلا من كان فرنسيا فكرا وعقلا وثقافة وإحساسا، فعلاقة طه حسين بالفكر الفرنسي ليست علاقة أخذ فقط، أي لم يكن منفعلا وإنما استطاع بقدرته الفائقة أن يكون فاعلا أيضا، إيجابيا منتجا، يمكن أن نقارن ما كتبه بالفكر الفرنسي أدبا ونقدا وتاريخا بما كتبه كبار الأدباء والنقاد المؤرخين الفرنسيين.[4]

4 . الجانب الصوتي في أسلوب طه حسين

على الرغم من أنّ الدارس للجانب الصوتي في أسلوب طه حسين يحلل أسلوبا مكتوبا فإنه يستطيع أن يخرج بظواهر صوتية أهمها:[5]

. سرعة استجابة الأذن للنغمة الصوتية العامة المنبعثة في أسلوبه، مع تنويع في التيار الصوتي يحتفظ معه بمستوى موسيقي يتلاءم مع ما يريد التعبير عنه.

فهو في بعض الحالات يردد نغمة بعينها ولكنها بعيدة عن الرتابة، ومن أمثلة ذلك قوله:" ينفق فيها الساعات حلوة حرّة، يقول فيها ما يشاء، ويسمع ما يشاء الشيخ أن يقول، وما أكثر ما كان الشيخ يقول"[6]

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية: عبد المالك قرل، ص 46 نقلا عن: دراسات في الأدب الحديث ومدارسه: محمد عبد المنعم خفاجي، ص 394

[2] ـ محاكمة طه حسين: خيري شلبي، مؤسسة المعارف، بيروت، دط، دت، ص 29

[3] ـ طه حسين في ميزان العلماء والأدباء: محمود مهدي الأستابلولي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ، ص 403

[4] ـ نفسه: ص 403

[5] ـ أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث: زهران البدراوي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، دط، دت، ص 25

[6] ـ الأيام: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دطن 2012م، 9/3

وقوله:" وقد اختيرت لسفر البعثة سفينة فرنسية فقيرة حقيرة رخيصة، وكان اختيارها لونا من الاقتصاد"[1]

وقوله:" وإذ الجامعة تدعوه فيذهب إليها عَجلا وَجلا، ذات ضحى، وهناك يلقى علوى باشا رحمه الله فيستقبله باسما له رفيقا به"[2]

تجد الأذن سرعة استجابة للنغمة العامة في الأسلوب، فاختيار كلمات بعينها ورصفها بطريقة بعينها أعطى هذا الأثر الصوتي الذي أسهم فيه التنويع والبعد عن الاتجاه التقليدي.

وقد يحقق غرضه نفسه عن طريق اختيار كلمات مترادفة متتابعة بطريقة متنوعة تستجيب لها الأذن ومن ذلك قوله:" استيقنوا أنّ الثراء والسعة وخفض العيش أشياء تعوق عن طلب العلم، وأنّ الفقر شرط للجد والكد والاجتهاد والتحصيل، وأنّ غنى القلوب والنفوس بالعلم خير وأجدى من امتلاء الجيوب والأيدي بالمال"[3]

وقد يحقق غرضه السالف عن طريق المخالفة بين الجمل باستعمال الكلمات المتضادة والجمل المتقابلة، فيحمل الأذن على الاستجابة للأثر الدلالي المتلائم مع التعبير، ومن أمثلة ذلك قوله:" فكان حاضرا كالغائب، ويقظا كالنائم، ولم ينتظر أن تصلى العصر"[4] وقوله:" وتنقلب الآية ويصبح المغلوب غالبا والغالب مغلوبا"[5]

ثالثا: جرجي زيدان

1 . التعريف بجرجي زيدان

يعدّ من خيرة رجال النهضة العربية الحديثة، حيث دخل سلسلة (أعلام العرب) من أبواب فسيحة كثيرة، وكل باب فيها يفتح على مصراعيه ليستقبل الرجل الذي كانت حياته كلها احتسابا لخدمة العرب وتاريخ الإسلام.[6]

يمثل جرجي زيدان العصامية بأجلى معانيها، وهو من أسرة لبنانية، ولد في 14 ديسمبر 1861م. تعلم اللغة الفرنسية والإنجليزية.[7]

تعرف جرجي زيدان إلى أكثر خريجي الكلية الأمريكية ورجال الصحافة مما سهل له الانتظام في سلك(جمعية شمس البر)[1] التي أنشئت ببيروت، وكانت فرعا لجمعية الشبان المسيحيين في إنجلترا، ورأى نفسه في هذه الجماعة مع يعقوب صروف، وفارس نمر وسليم البستاني، وبطرس البستاني.[2]

---

[1] - الأيام3/ 76
[2] - نفسه 3/ 74
[3] - نفسه: 3/ 3
[4] - نفسه: 3/ 6
[5] - نفسه: 3/ 3
[6] - أعلام العرب جرجي زيدان: محمد عبد الغني حسن، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط، 1970م، ص3
[7] - المصادر الأدبية واللغوية: ص 51

وفي سنة 1881م دخل مدرسة الطب وقضى فيها عاما كاملا فقط وفي سنة 1882م انصرف إلى علوم الصيدلة ليهاجر سنة 1883م إلى مصر بعد انتسابه إلى(المأسونية) ليتم دراسته في الطب فوصل الإسكندرية في تشرين الثاني(أكتوبر)[3]

2 . أعماله:

عمل جرجي زيدان في مصر في صحيفة (الزمان) اليومية، التي يملكها ويديرها (علكسان صرافيان) وكانت الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة بعد أن عطل الاحتلال الإنجليزي صحافة ذلك العهد.

وفي سنة 1884م رافق الحملة الإنجليزية النيلية إلى السودان مترجما لها، وفي سنة 1885م سافر إلى بيروت، وكان المجمع العلمي الشرقي فيها حديث عهد بالإنشاء، فقد أنشئ سنة 1882م للبحث في العلوم والصناعات والإفادة منهما بما يعود على البلاد بالخير والرخاء فانضمّ إليه، وفي خلال إقامته ببيروت تعلم اللغتين العبرية والسريانية، وكان من ثمرة هذا انه ألف كتابه(الفلسفة اللغوية) أو(الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية) الذي ظهرت أولى طبعاته في بيروت سنة 1886م وكان من أثر ذلك أن عيّنه المجمع الآسيوي الملكي عضوا عاملا فيه.

وفي سنة 1886م زار المترجم له عاصمة بلاد الإنجليز، وتردد على المتحف البريطاني وغيره من المكتبات ومجامع العلم. ولما عاد إلى مصر طلبت إليه إدارة المقتطف أن يتولى إدارة أعمالها.

وفي سنة 1888م استقال من المقتطف ليشتغل بالكتابة والتأليف، وفي هذه الفترة أصدر كتابه(تاريخ مصر الحديث)

وفي سنة 1889م انتدبته المدرسة العبيدية الكبرى لتدريس اللغة العربية وآدابها فيها، وكان مستوى العربية في هذه المدرسة عاليا.

وفي سنة 1891 م أنشأ جرجي زيدان مطبعة التأليف مشتركا مع نجيب مترى المؤسس الأول لدار المعارف. وبعد سنة انفضّت الشركة بينهما، واحتفظ جرجي زيدان بالمطبعة لنفسه وأسماها مطبعة الهلال، على حين قام نجيب مترى بإنشاء مطبعة مستقلة باسمه سماها مطبعة المعارف، وفي سنة 1892م أصدر مجلة الهلال.

توفي زيدان شهر يوليو سنة 1914م.[4]

---

[1] - جرجي زيدان في الميزان: شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1981م، ص15

[2] - نفسه: ص15

[3] - نفسه: ص 16

[4] - ينظر:أعلام العرب جرجي زيدان، ص 10 - 14

3 . مؤلفاته:[1]

العلمية والأدبية واللغوية وغيرها	سلسلة رواياته التاريخية الإسلامية	روايات أخرى	مؤلفاته التاريخية
. مجلة الهلال. . الفلسفة اللغوية. . تاريخ اللغة العربية. . تاريخ آداب اللغة العربية:4 أجزاء. . اللغة العربية كائن حي. . رحلة إلى أوربا. . أنساب العرب القدماء. . علم الفراسة الحديث، مزين بالرسوم. . طبقات الأمم، مزين بالرسوم. . عجائب الخلق، مزين بالرسوم.	. فتاة غسان (جزآن) . أرمانوسة المصرية. . عذراء قريش. . 17 رمضان. . غادة كربلاء. . الحجاج بن يوسف. . فتح الأندلس. . شارل وعبد الرحمن: الفتوح الإسلامية في أوربا. . أبو مسلم الخرساني: سقوط الخلافة الأموية. . العباسة أخت الرشيد: أحوال البلاط العباسي في عهد هارون الرشيد. . الأمين والمأمون: العصر الذهبي للدولة العباسية. . عروس فرغانة: الدولة في عهد المعتصم بالله وعاصمة الخلافة الجديدة سامراء. . أحمد بن طولون: مصر في القرن الثالث للهجرة. . عبد الرحمن الناصر: العصر الذهبي في الأندلس. . الانقلاب العثماني: الأحوال السياسية في عهد عبد الحميد الثاني. . فتاة القيروان. . صلاح الدين الأيوبي: الحروب الصليبية. . شجرة الدر.	. المملوك الشارد. . أسير المتمهدي: قصة الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ثم ثورة المهدي في السودان. . استبداد المماليك. . جهاد المحبين. . بيت القصيد.	. تاريخ مصر الحديث، مزين بالرسوم(جزآن) . تاريخ التمدن الإسلامي، مزين بالرسوم(5أجزاء) . العرب قبل الإسلام، مزين بالرسوم(جزء واحد) . تاريخ الماسونية العام، مزين بالرسوم(جزء واحد) . تراجم مشاهير الشرق، مزين بالرسوم(جزآن) . التاريخ العام، الجزء الأول مزين بالرسوم. . تاريخ إنكلترا، مزين بالرسوم. . تاريخ اليونان والرومان(مختصر)

[1] ـ محاضرات في مصادر اللغة والأدب والنقد: ص 173 - 174

4 . أهمية كتاب تاريخ آداب اللغة العربية

يذكر جرجي زيدان في مقدمة كتابه(تاريخ آداب اللغة العربية) أنه أول من وضع كتابا متكاملا في تاريخ الأدب العربي، وأنه أول من سمى هذا العلم بتاريخ آداب اللغة العربية.[1]

وتاريخ آداب اللغة العربية نعني به تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب، وما تقلبت عليه في العصور المختلفة، أو هو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم، وجرجي زيدان ألّفه للأغراض التالية:

. بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي.

. تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور.

. تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف أدواره من تكونه ونشوئه إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار.

. تراجم رجال العلم والأدب مع الإشارة إلى المآخذ التي يمكن الرجوع إليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم.

. وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار موضوعاتها، وكيف تسلسلت بعضها من بعض، وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء إليها ووجه الاستفادة منها.

. لا نهتم من هذه الكتب إلا بما لا يزال باقيا منها، ويمكن الحصول عليه، حتى إذا أراد أحد الوقوف على شيء من الأصول الخطية طلبها في فهارس تلك المكاتب.

وبالجملة فإنّ غرضنا الرئيسي أن يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة، ومحلّ وُجودها وموضوع كل منها، وقيمته بالنسبة إلى سواه من نوعه، فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الأمة العربية وعقولها وتراجم علمائها وأدبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها، ومتى تم الكتاب ألحقناه بفهرس أبجدي للأعلام والموضوعات، فيصير معجما للعلم والعلماء والأدب والشعر والشعراء، ولما جادت به قرائحهم من التصانيف أو المنظومات ووصف كل منها ومحلّ طبعه أو وجوده.[2]

5 . أسلوب زيدان بين اللفظ والمعنى:

اختار جرجي زيدان لطريقته في الصياغة أن يجري على أسلوب سهل لا تعقيد فيه، وإذا كانت أمامه لفظتان لمدلول واحد، فإنه يؤثر اللفظة السهلة المستأنسة على اللفظة الغريبة المعجمية المستوحشة، أو بعبارة أخرى يؤثر اللفظ المستعمل على اللفظ المهجور.

---

[1] ـ تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، دط، 2013م، ص 14

[2] ـ نفسه: ص 15

ولقد بلغ من إغراقه في إيثار السهولة أت اتّهمه جماعة بالضعف وعدم الفحولة، والبعد عن أساليب الفصاح. ولما كان زيدان يحب(الشعبية) في نشر العلم وخاصة التاريخ والأدب العربي فإنه آثر الأسلوب السهل ما دام هدفه الوضوح لقارئه.

وقد حاول زيدان غير مرة أن يبين للقراء أسباب إيثاره لهذه الأساليب السهلة فقال في مقدمة كتابه(تاريخ مصر الحديث):"...متحاشيا الألفاظ المستهجنة، والتعبيرات المعقدة ما أمكن، متخذا أفضل أسلوب تفهمه العامة وترضاه الخاصة، بغير إخلال ولا إملال"

وهذه الرغبة في إفهام العامة والتحدث إليهم بأسلوب يفهمونه ولا يشق عليهم قد وجدت منفذا إلى ناقديه باتهامه بضعف الأسلوب.

ولكن لما كان هدف زيدان إفهام قرائه وإبلاغهم أفكاره ومعانيه عن طريق سهل لا عوج فيه ولا التواء، فإنه آثر طريق السهولة والبساطة في التعبير، وتجنب تجنبا تاما الالتجاء إلى الحلي والزخارف اللفظية التي كان لا يزال يستعملها فريق من كتاب أخريات القرن التاسع عشر المحافظين على الإنشاء والمحتفلين بالصياغة والعبارة أكثر من احتفالهم بالمعاني والأفكار، والحق إنه كان يمثل التطور الجديد في الكتابة والنثر، ذلك التطور الذي بدأت طلائعه تظهر في كتابات الشيخ محمد عبده المتأخرة.[1]

رابعا: إحسان عباس

1 . التعريف بإحسان عباس

إحسان عبد القاهر عباس ولد في قرية عين غزال تغفو على على سفح جبل الكرمل، التي تمتد حقولها باتجاه ساحل البحر الأبيض المتوسط في الثاني من كانون الأول(ديسمبر) عام 1920م.

في هذه القرية الريفية من بفلسطين عاش إحسان، والتحق بجامعة القاهرة حيث نال الباكلوريوس في الأدب العربي، فالماجستير ثم الدكتوراه.[2]

يؤكد الناقد فيصل دراج أنّ سيرة إحسان عباس الذاتية بالغة الإيحاء في عنوانها (غربة الراعي). وفي مقابلة أجريت معه سنة 1997م، فسر إحسان عباس العنوان تفسيرا معجميا قائلا:"لقد كنت راعيا في قريتي حين كنت صبيا، وبقي الوعي أو اللاوعي الريفي ملازما لي طيلة حياتي بأشكال مختلفة"

كان يصرح دائما بأنه إنسان رومانطيقي وعاشق للطبيعة ومغروم بها، وعند التحاقه بالكلية العربية في القدس(1937 . 1941) كان يُقبل على الشعر اللاتيني بشغف شديد وبخاصة الجانب الرعويّ منه، والأثر الرعويّ" وهو أثر أدبي يصور حياة الرعاة وأهل الريف كالشعر الرعوي، والمسرحية الرعوية"

---

[1] ـ ينظر: أعلام العرب جرجي زيدان: ص 139 - 141

[2] ـ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية، ص 56

ويبرر الكاتب عشقه لهذا النوع من الشعر لكونه يصور الهيام بالريف والافتتان بجماله، كما أنه يعكس الحياة الهادئة البسيطة.[1]

كان إحسان عباس يعي تماما جدلية العلاقة بين الادب والتاريخ بين الآنوية والمجتمعية أسعفته في ذلك خبرة واسعة في كتابه التراجم والسير، فقد كان ملما بكل ما وقع بين يديه من مؤلفات تتناول السيرة. واطلع على الأساليب التي اتبعها من قبله من الكتاب، وتابع الأستاذ أحمد أمين حين كتب سيرة حياته في(حياتي).

كما عالج الكثير من الكتابات الأوتوبيوغرافية منها على الترتيب: الحسن البصري سنة 1952م، أبو حيان التوحيدي 1955م، فن السيرة 1956م وغيرها.[2]

عمل في حقل التدريس سنوات، ثم التحق بجامعة القاهرة عام 1948م حيث نال شهادة البكالوريوس فالماجستير فالدكتوراه في الأدب العربي، عمل أستاذا للأدب العربي في جامعة الخرطوم . السودان . وانقل بعدها إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، وأستاذا للنقد الأدبي ورئيسا لدائرة اللغة العربية.

انتقل إلى عمان عام 1986م لكتابة تاريخ بلاد الشام بطلب من سمو الأمير الحسن بن طلال، توفي في عمان عام 2003م.[3]

2 . مؤلفاته:

كان إحسان عباس غزير الإنتاج تأليفا وتحقيقا وترجمة، فقد ألف ما يزيد عن خمسة وعشرين(25) مؤلفا بين النقد الأدبي، والسيرة والتاريخ، وحقق ما يقارب اثنين وخمسين (52) كتابا من أهمها كتب التراث، وله(12) ترجمة من عيون الأدب والنقد والتاريخ، حيث وصل مجموع أعماله إلى مئة (100) عمل، وقد كان مقلا في الشعر لظروفه الخاصة كونه معلما وأستاذا جامعيا، وقد أخذه البحث الجاد والإنتاج النقدي الغزير من ساحة الشعر والتفرغ له، هذا من جهة ومن جهة أخرى" يعترف إحسان عباس بأنه لم يكتب في مجال الشعر الذي تخصص فيه إلا أشياء قليلة لأنّ الشعر فنّ صعب؛ ولأنه لا يكتب في موضوع يمثل ظاهرة بارزة جامعة، فنية أو فكرية أو موضوعية إلا إذا تيسر له ذلك بعد تأمل ومعاودة وطول درس، ويلفت النظر إلى ضرورة الكتابة عن ظاهرة مكتملة أو خطر الكتابة عن شاعر في مرحلة التحولات في تجربته..."[4]

وفي الجدول الآتي عرض لأهم مؤلفات إحسان عباس:[5]

---

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية، ص 56
[2] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.
[3] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.
[4] ـ محاضرات في مقياس اللغة والأدب والنقد: ص 176 - 177
[5] ـ نفسه: ص 177

دراسات وتحقيقات	ترجمة	كتب محررة
. الحسن البصري. . عبد الوهاب البياتي. . فن الشعر. . فن السيرة. . أبو حيان التوحيدي. . الشعر العربي في المهجر الأمريكي، دراسة مع محمد يوسف نجم. . الشريف الرضي: دراسة. . العرب في صقلية: دراسة. . تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة. . الذيل والتكملة: ج5. . الذيل والتكملة: ج6. . عزّة. . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: لابن الكتاني. . بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره. . اتجاهات الشعر العربي المعاصر. . أمثال العرب: المفضل الضبي. . الذخيرة، التذكرة الحمدونية لابن حمدون. . ليبيا في كتب التاريخ، بالاشتراك مع محمد يوسف نجم. . ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، بالاشتراك مع محمد يوسف نجم. . فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي: 5 أجزاء. . الروض المعطار في خبر الأقطار:	. فن الشعر: لأرسطو. . النقد الأدبي ومدارسه الحديثة: لستانلي هايمن، بالاشتراك مع محمد يوسف نجم. . دراسات في الأدب العربي: لفون جرونباوم، بالاشتراك مع كمال اليازجي وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم. . أرنست همنغواي: لكالالوسب يكر. . فلسفة الحضارة أو المقال في الإنسان: لأرنست كاسيرر. . يقظة العرب: لجورج أنطونيوس بالشتراك مع ناصر الدين الأسد. . دراسات في حضارة الإسلام: لهاملتون جب بالاشتراك مع محمد يوسف نجم، ومحمد زايد. . موبي ديك: لهيرمان ملفيل. . ت.س.إليوت لمائين.	. الأعمال الشعرية لكمال ناصر. . ديوان إبراهيم طوقان. . شذرات من كتب مفقودة. . غربة الراعي(سيرة ذاتية)

لابن عبد المنعم الحميري. . أنساب الإشراف: للبلاذري: القسم الرابع. . سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: للتيفاشي. . مرآة الزمان: للسبط بن الجوزي. . الأغاني للأصفهاني. . معجم الأدباء لياقوت الحموي.		

الآداب
رئيس المجلس العلمي
أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة رقم (11): مصنفات ابن أبي شنب في اللغة والأدب

تمهيد:

لا يخلو تاريخ الجزائر الثقافي من علماء أجلاء، لم تتخلف الجزائر بفضلهم عن مواكبة حركة النهضة منذ ظهور بواكيرها الأولى، من بينهم: محمد بن أبي شنب، الذي يُعدُّ نموذجا راقيا من نماذج التلاقح الحضاري. وهو بالرغم من أنه خرّيج المدرسة الفرنسية الاستعمارية الرامية لمسخ الهوية الوطنية، إلا أنه ذو شخصية موسوعية تُزاوجُ بين الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة والثقافة الغربية الحديثة.

تأمّل محمد بن أبي شنب في وعي عميق النهضة الأوربية، فتجلى له البون شاسعا بين واقع أمته المرير، والواقع المزدهر في أوربا مطلع العصر الحديث، فأخذ على عاتقه بفضل رجاحة العقل ونفاذ البصيرة وإتقانه العديد من اللغات الأجنبية إحياء التراث الجزائري والعربي تأليفا وترجمة ونشرا وتحقيقا وتعليما.

ولا مشاحة في أنّ هذا العالم الجليل حلقة وصل بين البحث الأكاديمي العربي والغربي من خلال الاحتكاك بالفكر الأوربي في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، ما مكّنه من تجاوز صدمة الحداثة وطرح تصور فكري جديد يؤرخ لعهد جديد يمتزج الموروث بالوافد في أسلوب رشيد تلبية لاحتياجات الأمة، بدت تجلياته في جلّ إسهاماته الغزيرة التي حققها في مدة وجيزة.[1]

1 . التعريف بابن أبي شنب

محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب ابن المدية بوسط الجزائر، ولد يوم الثلاثاء 10 رجب 1286هـ الموافق ل 26 أكتوبر 1869م في دوار تاكبو من عائلة تجمع بين الأصلين التركي والجزائري . وهو النوع الذي يعرف في التاريخ بزيجة الكراغلة . إذ تعود جذور أسرته إلى مدينة بروسة التركية، وكانت على جانب من الغنى واليسار وتعمل بالزراعة.

وقد عنيت هذه الأسرة بتربية ابنها وتعليمه؛ فحفظ القرآن على يد الشيخ(برماق) كما تعلم مبادئ القراءة والكتابة، واعتبر حينذاك كأول من دخل ثانوية ابن شنب المسماة حاليا باسمه حيث درس الابتدائية والثانوية، وقد نجح في امتحان الدخول إلى المدرسة العادية ثم مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة سنة 1886 التي تخرج منها معلما شهر جويلية سنة 1888م وهو ابن 19 سنة، وقد تعلم اللغة الفرنسية وقرأ آدابها وتاريخها ليصبح في زمن لاحق لذلك مجازا بتعليم اللغة الفرنسية وآدابها في المدارس الابتدائية.

---

[1] ـ أعمال الملتقى الوطني حول اللغة العربية والترجمة، مقال بعنوان: محمد بن أبي شنب بين الشرق والغرب، أسماء سليماني، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ديسمبر 2017م، ص 147

من جهة أخرى درس الشيخبن أبي شنب علوم الإسلام والبلاغة والمنطق والفقه على يد الشيخ ابن سماية عبد الحليم، وراح في نفس الوقت يتعلم اللاتينية والألمانية والإسبانية والعربية والفارسية والتركية لغة أجداده. وبات الأستاذ الشاب منذ 1898م يبثّ الحياة في مدرسة قسنطينة الفرنسية بدروسه.

ثم أصبح مدرسا في الجزائر العاصمة في 1901م، وفي سنة 1904م دخل التعليم العالي فأصبح أستاذا محاضرا وهو ابن 35 سنة يتمتع بشهرة على مستوى العالم، فصارت الأكاديميات والجمعيات العلمية تتنازع عليه لتضمّه إليها كما تقاطرت عليه المكتبات وكبار العلماء والرؤساء ومشاهير الكتاب والأدباء وهم في كتاباتهم ما بين شاكر ومادح ومعجب ومسترشد، كما استعان به الكثير من عشاق العلم والتأليف.

وفي سنة 1920م انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضوا به، وفي نفس السنة تقدم لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر فأحرزها بدرجة ممتاز، حيث ألف كتابين أحدهما يدور على أبي دلامة شاعر العباسيين، والثاني بحث ذكر فيه الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في لغة أهالي الجزائر، كما منح في العام نفسه من الحكومة الفرنسية وسام جوقة الشرف(Chevalier)

وفي 1924م تولى كرسي الأستاذ كولان(Colin) بجامعة الجزائر حيث تتلمذت على يديه أجيال من الطلبة المرشحين، وتقلد وسام(كتيبة الشرف) كما تهاطلت عليه الألقاب والرتب الشرفية حتى انتخب حينذاك عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية، ثم دخل المعهد أين عيّن وصديقه مارتينو لتمثيل فرنسا في مؤتمر المستشرقين في الرباط ثم أكسفورد كما عيّن أستاذا في كوليج دوفرانس(Collège de France)[1]

كان الشيخ ابن شنب عالما بالعربية، حيث كان متبحرا في علومها وآدابها، يحفظ كثيرا من نصوصها ومفرداتها حتى وصف بأنه" معجم يمشي على الأرض" لكثرة محفوظه من مفردات اللغة المدونة بالمعاجم العربية، وكانت له عناية بجمع الكلمات الكثيرة والتراكيب اللغوية التي تجري على ألسنة الأدباء في القديم والحديث ولم تُدون في المعاجم، ثم يقوم بدراستها درسا وافيا ويحاول ردها إلى أصولها العربية، ولم تكن هذه المهمة سهلة بل تحتاج إلى معرفة تامة بالقديم وتبصر دقيق بالحديث.

وجعله حرصه على العربية يتجنب استعمال اللفظ الدخيل في اللغة والاجتهاد في اجتنابه ولو بالاستعاضة عنه بغريب اللغة المهمل الذي بطل استعماله، كما كانت أبحاثه في اللغة والأدب مبتكرة طريفة، وله مقالات علمية نشرت في الدوريات العربية والأجنبية، وله دراسة قيمة نشرت في كتاب سنة 1922 بعنوان:" رموز الاختصار العربية" ضمنه نحو 100 كلمة من الكلمات المستعملة في كتب مؤلفي العرب في

[1] ـ محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري: من مقال بعنوان: الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب قراءة سوسيوبيوجرافية، الهادي بووشمة،أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر 15 - 17 ديسمبر 2009م، ص 47 - 50

الفقه والحديث والفلسفة، وذكر أمام كل كلمة طريقة اختصارها؛ أي الحروف التي تؤخذ منها لتدل عليها، وكان يترجم كل كلمة إلى الفرنسية مع إضافات للشرح والتفصيل في بعض الكلمات.[1]

لقد كانت للشيخ مبادراته من خلال نشاطاته العلمية ومؤلفاته، فقد قضى في المدرسة الثعالبية 23 سنة كلها جهاد في سبيل العلم، وبعدها أستاذا رسميا بكلية الآداب الكبرى في العاصمة الجزائرية:" أين كان يسلك في دروسه بالجامعة مسلكا خاصا بين الإفرنج، يغلب فيه التشويق في اللغة العربية ويُحببها لهم حبّا جما، فيستعذبونها في نفوسهم، ولا يفرغون من الدرس إلا ونفوسهم متأثرة ومملوءة بالإعجاب بكنوز العرب ومخلفاتهم الثمينة"[2]

ويذكر عبد الرحمن الجيلالي أنّ فكرة محمد بن أبي شنب هذه وعلمه الصالح قد كونت شبابا من الغرب مفكرا يميل قلبه إلى الاستشراق وحبّ العربية، وأصبح الذي كان يسخط على العرب ولغتهم من أعجب الناس بهم وأولاهم بالدفاع عن هذه اللغة العزيزة، وأنّ الفضل في ارتفاع رأس اللسان العربي بين اللغات الأخرى في الجامعة والمدارس الحكومية يرجع إليه.[3]

2 . التركة العلمية للشيخ بن أبي شنب

إنّ المتأمل لمؤلفات محمد بن أبي شنب يلاحظ أنّ السّمة التي تطبع كتاباته هي قلقه على التراث العربي والإسلامي، والحرص على المحافظة عليه، وليس أدلّ على ذلك من قوله في قصيدة شعرية من تأليفه:[4]

أفيقوا بني عمي برقى المشارف وجدوا وكدوا في اكتساب المعارف

فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم ولم يبقى إلا كل غمر وخالف

فيا وحشة من طالب ومدرس ومنشد أشعار وراوي اللطائف

ألا أيها الباكي على فقد درس وتلو كتاب في أعز المواقف

تحسر ولا تبقي الدموع بمقلة فإنّ الدروس الغرطي الكواسف

جمع ابن أبي شنب بين التأليف بالعربية والفرنسية، ونشر وحقق الكتب القديمة التي رآها ضرورية لأبناء وطنه في وثبته ونهضته فأنتج جراء ذلك ما يزيد على 50 كتابا بمعدل كتابين كل سنة خصوصا بين سنوات 1906 . 1929، وذلك في سائر العلوم المتداولة عند العرب والإفرنج والعادات والتقاليد وقد أحيا بعض التآليف بالنشر والتحقيق وبعضها بالتنقيح والتصحيح أو بالشرح والتعليق عليها، نذكر من ذلك:[5]

---

[1] ـ محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري: من مقال بعنوان: الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب قراءة سوسيوبيوجرافية، ص50

[2] ـ محمد بن أب شنب حياته آثاره: عبد الرحمن الجيلالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 19

[3] ـ نفسه: ص 19

[4] ـ محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري: من مقال بعنوان: خلفية الأصالة والمعاصرة في مؤلفات محمد بن أبي شنب، يمينة شيكو، ص 69

[5] ـ نفسه من مقال بعنوان: الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب قراءة سوسيوبيوجرافية، ص 52 - 53

. تحفة الأدب في ميزان أشعر العرب 1906 . 1928

. شرح لمثلثات قطرب1906

. الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب (3أجزاء) 1907

. الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر(لا زال مخطوطا)

. فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر1909

. خزانة العقود في فرائد القيود1909

. معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى (فاس) من الكتب ونقدها1922

. أبو دلامة وشعره وهو أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي حصل عليها سنة 1924م

وغيرها من الكتب والمؤلفات وقد حقق وصحح العديد من كتب التراث العربي منها:

. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني عام 1908

. عنوان الدراية فيمن عرف من علماء من علماء المائة السابعة في بجاية للغبريني 1910

. طبقات علماء إفريقية لأبي ذر الخشني مع ترجمة فرنسية1915

. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية1920

. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.

. وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود النبي مع تعليقات عليه.

شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت1926

. وكان من جملة ما قام به من الأعمال في هذا الحقل أيضا أنه ترجم إلى الفرنسية رسالة للإمام الغزالي في رياضة الأولاد وتربيتهم نشرت بالمجلة الإفريقية (Revue Africaine) سنة 1901م.

ما يمكن أن نقوله عن نشاط محمد بن أبي شنب في الكتابة والتأليف أنه كان ينهج في الدراسات العربية والإسلامية منهجا أوربيا، وبفضل تمكّنه من اللغة العربية واللغة الفرنسية ولغات أخرى، بالإضافة إلى ثقافة عامة، استطاع بإرادته القوية التوصل إلى الاستفادة من كتب الاختصاصيين في الدراسات الإسلامية وفي الأدب العربي بلغات متعددة وأن يتآلف مع مناهج العلم التي يطبقها العلم الأوربي الحديث ومع البيبليوغرافيا ونقد المصادر التي استخدمها في أعمال البحث.[1]

فدرايته باللغة العربية الفصيحة وللبيبليوغرافيا أهّلته لتقديم دراسات نقدية قيمة لبعض النصوص العربية، وكان في معظم الأحيان ينشرها لتحليل مضمون بعض المخطوطات العربية، نذكر منها:(طبقات علماء

[1] ـ محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، من مقال بعنوان:خلفية الأصالة والمعاصرة في مؤلفات محمد بن أبي شنب، يمينة شيكو، ص 77

إفريقيا) وهو مخطوط نشره مع الترجمة الفرنسية التي كانت ذات فائدة كبيرة في معرفة الأدب والحقوق والمجتمع الإسلامي في المغرب في زمن الأغالبة(القرن التاسع الميلادي).[1]

وبن أبي شنب في كل ذلك عالم أكثر منه أديب، وأبحاثه وإن كانت في موضوعات أدبية فهي أبحاث علمية لا تكاد ترى عليها مسحة أدبية، فهي كلها أبحاث في اللغة العربية، وفي الأدب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله. يقول عبد الرحمن الجيلالي:" قرأت له ذات مرة فصلا في تاريخ عاصمة الجزائر فقال أنها كانت تسمى(مزغانه) أو(موغنان) ثم(جزائر مزغنان) ثم(الجزائر) واستمر يبحث في هذا الموضوع ويستقصيه حت قتله بحثا وتدقيقا، وحتى جاء فيه بما لم يسبقه إليه أحد من المؤرخين وأعجبت أنا بهذا الفصل"[2]

وما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ أعمال بن أبي شنب العلمية والأدبية كانت مدرسة في اللغة الأصلية والأدب القوي، إلى جانب تجنب التبعية والتقليد، بل الحرص على الاستقلالية مع الأخذ بأسباب التقدم الفكري من الغرب في منهجية التأليف وأساليبه.

ومن خلال كل تلك الأبحاث والدراسات التي قام بها ابن أبي شنب يلاحظ أنّ منطقه كان منطق العلم الذي شهد له به أمثاله من علماء عصره ممن اطلعوا على أعماله سواء من الغربيين أو من الشرقيين. ففي الجزائر نجد العلامة الأستاذ البشير الإبراهيمي يقول في خطبته التأبينية عن ابن أبي شنب" مات محمد فأين زملاؤه وشركاؤه في الصنعة، إنهم فقدوا بفقده ركنا من أركان العلم الصحيح وعلما من أعلام التاريخ الصحيح...لا بل فقدوا معيارا من أصدق المعايير ليقيم الروايات، وعينا لا تغر صاحبها بالسراب، لا بل فقدوا عقلا هذبه العلم، وعلما هذبه العقل، فأنتجا خير النتائج"[3]

ويضيف واصفا أسلوبه العلمي في البحث قائلا:" أما أسلوب البحث وبناؤه على المحاكمة والنقد فهو ظاهرة الرجل الخاصة به ونعته الصادق"[4]

وقال العالم الأثري الفرنسي (جورج مارسي) أحد أساتذة جامعة الجزائر في حق ابن أبي شنب ما يلي:

" ومن الواجب أن نشير إجمالا إل جميع أعماله حتى يتجلى لنا نشاطه العلمي، فقد كنا نرجع إليه ونستضيء بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فإنه كان يجمع إلى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب"[5]

فهذه الأقوال وغيرها اعتراف بقيمته العلمية وتوجهه السليم في البحث والتأليف، حيث كان أسلوبه

---

[1] ـ محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، من مقال بعنوان:خلفية الأصالة والمعاصرة في مؤلفات محمد بن أبي شنب، يمينة شيكو: ص 77 - 78

[2] ـ محمد بن أبي شنب حياته آثاره: ص101

[3] ـ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997م، 45/1

[4] ـ نفسه: 45/1

[5] ـ محمد بن أبي شنب حياته آثاره: ص 107

في الكتابة يتميز بالتنوع حسب مقتضيات الموضوع الذي يتناوله. وبالرغم من تأثره بالغرب في منهجية كتبه فإنها لا تخلو من لمسة خاصة تدل على شخصية يحركها باطن عقلي وروحي، فيه غيرة على التراث العربي الإسلامي. يقول عنه صديقه الأستاذ (مارتينو) مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر عندما أبنه على ضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمن:" إن السيد بن أبي شنب كان صورة الأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوربية في العمل من دون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل أستاذه (باسيه)"[1]

ويفهم من ذلك أنّ بن أبي شنب عرف كيف يوظف ما تعلمه عن الغرب في خدمة العلم والتراث الإسلامي والعربي وغيره دون أن يكون مقلدا ذا تبعية لغيره في عصر شاعت فيه التبعية والتقليد. أشار إليها (البشير الإبراهيمي) في قوله:" ليس في طريقنا معشر الشرقيين من عقبة لولا العلة المشئومة التي هي عائقنا الأكبر عن الإنتاج الفكري والخصب العقلي، بل هي السبب الوحيد في موت ملكة الابتكار فينا، تلك العلة هي التقليد الذي أصبح ظاهرة من ظواهر العلوم الإسلامية وتاريخها"[2]

ثم يضيف (البشير الإبراهيمي) مشيرا إلى نزعة بن أبي شنب إلى الاستقلالية التي جعلته رائدا من رواد النهضة قائلا:" إن المفكرين منا لينشدون نهضة تقضي على التقليد وتغرس ملكة الاستقلال في البحث التاريخي، وإنّ بوادر هذه النهضة قد ظهرت من عهد غير بعيد، وأنّ فقيدنا(بن شنب) اليوم من الطلائع المبكرة لهذه النهضة بهذا الوطن"[3]

---

[1] - محمد بن أبي شنب حياته آثاره: ص 107
[2] - نفسه: ص 117 - 118
[3] - نفسه: ص118

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم (12): مصنفات في تاريخ الأدب العربي

تمهيد:

للباحثين من عرب ومستشرقين كتب مختلفة في تاريخ الأدب العربي أدّت كثيرا من الفائدة والنفع منذ ظهورها، غير أنّ من الحق أنه ليس بين هذه الكتب ما يبسط الحديث في أدبنا وأدبائنا على مرّ التاريخ من الجاهلية إلى العصر الحديث بَسطا مفصّلا دقيقا. وأغزرُ هذه الكتب وأحفَلُها مادة كتاب (تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان، وهو دائرة معارف جامعة، لا تقتصر على الحديث عن شعرائنا وكُتّابنا؛ بل تُفيض في الكلام عن فلاسفتنا وعلمائنا من كل صنف وعلى كل لون، مع استقصاء آثارهم المطبوعة والمخطوطة في مشارق الأرض ومغاربها والإشارة إلى ما كُتب عنهم قديما وحديثا.

فالباحثون في الأدب العربي منذ مطلع القرن العشرين يعتمدون كتاب بروكلمات للاهتداء إلى مظانّ البحوث العربية المختلفة في كل فن من فنون المعرفة، من الشعر إلى التاريخ والجغرافية، إلى التفسير والحديث، إلى الفلسفة والفلك.

إنّ كتاب بروكلمان جريدة إحصاء لكل من كتب ولجميع ما كتب باللغة العربية. ومن هذه الناحية لن يستطيع الباحث العربي أن يستغني عن ذلك الجهد الجبار؛ وسيظلّ كتابُ بروكلمان دليلا ثمينا في يد الباحثين في آداب اللغة العربية وفنونها مدة طويلة جدا.

وفي هذه المحاضرة سنتعرض لأربعة من مصنفات تاريخ الأدب العربي وهي: تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف.

أولا: تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري

1 . التعريف بالكاتب:

حنا الفاخوري أديب ولغوي عربي ومؤرخ لبناني، ولد سنة 1914 في زحلة، وكان ذووه قد نزحوا إليها من قرية مجدلون قرب بعلبك في أوائل الحرب العالمية الأولى، تلقى دروسه الابتدائية في زحلة وفي حوش حالا بريّاق. سنة 1927 انتقل إلى القدس حيث أنهى دروسه المتوسطة والثانوية، وسنة 1936 وبعدما أنهى الدراسة الفلسفية، انضم إلى جمعية المرسلين البولسيين،وكلّف التدريس في الإكليريكية التي أنشأتها الجمعية البولسية إذ ذاك، وبدأ منذ تلك الفترة نشاطه الثقافي، فكان يتابع دراسته اللاهوتية، وفي الوقت عينه يدرّس ويضع الكتب المدرسية وغيرها من الكتب الأدبية.

كتب أكثر من مئة كتاب في اللغة والأصول والإنشاء والأدب والفلسفة والدين، واشتهر في كتابه «تاريخ الأدب العربي» الذي ظهرت الطبعة الأولى منه سنة 1951 وأصبح مقروناً باسمه في كل أنحاء العالم العربي، وترجمه إلى اللغة الفارسية سنة 1958 وإلى اللغة الروسية سنة 1959، سنة 1958 كتب «تاريخ الفلسفة العربية» وقد ترجم أيضاً إلى اللغة الفارسية.

وضع سلاسل مدرسية عديدة حول الأدب واللغة، كما حقق في الكثير من مؤلفات التراث شارحاً معلّقاً،محاضرا في جامعات أوروبية عدة وفي مؤسسات تونسية ومغربية.

يحمل أوسمة مختلفة من وطنه لبنان ومن إيران ومن البرازيل. توفي في الرابع من أكتوبر سنة 2011[1]

2 . الغرض من تأليف كتاب تاريخ الأدب العربي:

يقول حنا الفاخوري في مقدمة كتابه:" أردنا أن ننزل عند رغبة الكثيرين من الزملاء الكرام ومديري المدارس فنضع هذا الكتاب بعد أن درسنا الأدب العربيّ زمنا طويلا، وبعد أن هيّأنا موادّه في نحو عشر سنين كنا دائبين فيها على الرجوع إلى أمهات المصادر، وإلى التحليل والمقارنة، مستفيدين مما تقدمه لنا أحدث المكتشفات وأحدث الدراسات العلمية.

حتى لنستطيع أن نقول إنه قلما فاتنا مرجع علميّ سواء أكان شرقيا أم غربيا، وقلما فاتنا مقال أو بحث يرجع إلى موضوعنا، سواء أنشر في مجلات الشرق أم في مجلات الغرب، وذلك لحرصنا الشديد على استيفاء الموضوع وعلى الدراسة العميقة التي لا تكتفي بالأحكام العامة والأقوال السطحية، ولحرصنا الشديد على تراثنا الأدبيّ العربيّ وعلى إظهار ما فيه من قيم إنسانية خالدة وروائع فنية سامية، ثم لحرصنا الشديد أيضا على تقديم مادة من شأنها أن تُغذّي عقل الطالب، وتملأ قلبه ونفسه، وتهيّئه تهييئا سديدا لخوض ميدان الحياة كما تهيّئه تهييئا حقيقيا لخوض الامتحانات الرسمية أيا كان موضوعها وفي أيّ بلد كان، من غير أن يُشكل عليه الأمر، أو تقف في وجهه عقبة."[2]

3 . منهج الفاخوري في كتابه تاريخ الأدب العربي:

يقول الفاخوري:" أما طريقنا فهي قائمة على مزج التاريخ الثابت بالتحليل الواسع، وتبويب الأدب بالنظر إلى فنونه العالمية، ودراسته بالنظر إلى القواعد المقررة الحديثة، وبالنظر إلى القيم الإنسانية الرفيعة التي تثقف وتروق.

[1] ـ نقلا عن موسوعة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] ـ تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، المطبعة البولسية، ط2، 1953م، ص 7 من المقدمة.

وقد توخّينا الإيضاح فأخضعنا له الكلام، وتقسيم الفقرات والأبواب والفصول والحروف الطباعية وكل ما من شأنه أن يساعد الطالب ويسهل له العمل. وجعلنا في مستهل كل فصل خلاصة جمعت الإيجاز إلى الكمال في العناصر، وذلك لنفس الغاية.

ثم إننا توخّينا الدقة في كل شيء، وفي كل قول، فلم نرسل كلاما لا يُفهم مؤدّاه، ولا يقوم على البراهين الثابتة المقنعة"[1]

3 . محتوى الكتاب:

يضم الكتاب الأبواب التالية:[2]

. اللغة العربية

. الأدب العربي

. بزوغ الشعر

. ازدهار النهضة

. الشعر الجاهلي

. فنون شعرية

. النثر الفني

. العلوم والفنون

مما قاله حنا الفاخوري عن اللغة العربية:" اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية،* وقد بقيت أقرب تلك اللغات إلى الأصل، وإن كانت أحدثها نشأة وتاريخا، وذلك لاحتباس العرب في صحرائهم واعتصامهم بها دون سائر الشعوب؛ فلم تتعرض لما تعرضت له اللغات السامية الأخرى من الاختلاط. إلاّ أنّ أوائل تلك اللغة لا تزال مطوية في مجاهل التاريخ، وجلّ ما نعرفه أنّ هناك لغتين تفرّعت عنهما سائر اللهجات العربية، هما لغة الجنوب أو اللغة الحميرية، ولغة الشمال أو اللغة المضرية"[3]

---

[1] ـ تاريخ الأدب العربي: ص 7 - 8

[2] ـ نفسه: ص 11 - 38 - 72 - 80 - 204 - 213 - 318

* يجعل العلماء اللغات السامية فئتين(الفئة الشمالية وتشمل ثلاثة فروع: الآرامية بلهجاتها الكلدانية والسريانية، والآشورية، والكنعانية بلهجاتها العبرانية والفينيقية)، الفئة الجنوبية وتشمل فرعين(الإسماعيلية أو العربية المضرية، واليقطانية أو القحطانية وهي تشمل لهجات جنوبي جزيرة العرب، وبلاد الحبشة)

[3] ـ تاريخ الأدب العربي: ص 24 - 26

ثانيا: تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ

1 . التعريف بالكاتب:

ولد عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن فروخ في بيروت (لبنان) عام 1904، وتوفي فيها عام 1987، لأسرة مسلمة، متدينة، متواضعة، متعلمة.يقول عمر مفتخرا بأسلافه:"أنا عمر فروخ أنظر إلى الثقافة من جانبها الإنساني، وأدرك أن قومي المسلمين قد أدّوا في تاريخ الحضارة قسطا عظيما، دينا ولغة وعلما وفلسفة وسياسة، وأنا مؤمن أن المجد الذي بلغ إليه العرب بالإسلام هو مجد أسلافي."

درس في مدارس أهلية ورسمية وتخرج في الجامعة الأميركية في بيروت عام 1924، وكان خطيب حفل التخرج، ثم تابع دراسته في ألمانيافي جامعتي برلين وار لنجن، وحاز دكتوراه في الفلسفة، ولموضوع أطروحته حكاية:اقترح عمر على أساتذه(يوسف هال) موضوعات عديدة استحسنها ثم قال له أستاذه: إن نفرا من المستشرقين يعتقدون أن الإسلام لم يكن له نفوذ أول الأمر وأن هذا النفوذ الديني المشهور للإسلام هو من صنع المؤرخين العباسيين، وأن الشعر العربي المعاصر للدعوة الإسلامية لا ينكشف على أثر للإسلام بين العرب، فهل تستطيع يا عمر، نقض هذا الرأي؟

فراح عمر يجمع الشواهدحتى تكون لديه منها الكثير، فضيق نطاق بحثه حتى خرج بموضوع لأطروحته: "الإسلام كما يظهر من الشعر العربي من الهجرة إلى موت الخليفة عمر بن الخطاب" لم يقرب عمر الفواحشحتى خلال دراسته في ألمانيا، كان متدينا، عالما، ذكيا، حازما، ودقيقا، في حياته وفي مؤلفاته وفي فكره.

عمل عمر فروخ في التدريس، ولم يفضّل عليها مهنة أخرى، فدرس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ومدرسة الثانوية العالمية في بيروت، وفي دار المعلمين في بغداد وفي بومباي وكان عضوا في جمعيات ثقافية خيرية، لكنه آثر الابتعاد عن السياسة فلم ينغمس فيها بل لم يتكلم فيها أبداً.

أتقن عمر إلى جانب العربية: الفرنسية والألمانية والإنجليزية، وألمّ بالفارسية والتركية، وكان يؤمن بضرورة الكتابة عن الإعلام وكشف أسرار التاريخ، كان يكتب عن الإعلام مستنطقا أحداث حياتهم موردا آراءهم بألسنتهم دون أن يكون محاميا عن أحد منهم إلا أنّ الكتب الإسلامية شغلته كثيرا، فمن خلال عمله ومؤلفاته خدم الإسلام ولغة القرآن.[1]

[1] ـ نقلا عن موسوعة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org

2 . دوافع تأليف الكتاب:

يقول عمر فروخ في مقدمة كتابه:"هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي يُقرب الموضوع للدارسين والباحثين ويَبسطُ ذخائر الجانب الوُجداني من الأدب العربي للمُطالعين.

إن الكتب في تاريخ الأدب العربي ليست قليلة، ولكنها كلها تمرّ في العصور فتختارُ عصرا تتكلم عليه ثم تضرب عليه مثلا من بضعة شعراء: ثلاثة أو أربعة أو اثني عشر من الشعراء المعروفين عادة في المعلقات أو القريبن عادة من شعراء المعلقات، إنّ هذا الكتاب يتناول من الجاهليين وحدهم شعراء كثيرين وخطباء قليلين يزيدون كلهم على الخمسين.

ولقد حفزني إلى وضع هذا الكتاب حافزان أساسيان أولهما أن يكون فيه منهاج عربي خالص لا يأخذ من المنهاج الفرنجي إلا ما نقص من المنهاج العربي ثم كان ذا قيمة صحيحة في دراسة أدبنا. إن نفرا من الدارسين للأدب العربي يجرون دراساتهم على الأسلوب الفرنجي؛ وكلما وجدوا اختلافا بين الأدبين . والاختلاف بين كل أمرين موجود معقول . أجالوا أقلامهم وألسنتهم في الأدب العربي ومالوا على القديم من الأدب العربي يريدون أن يتبدلوا به الجديد من الأدب الفرنجي. أما أنا فلا أحفل في هذا الكتاب إلا بالأدب الذي عاش. لقد عرفت الجاهلية وعرف العصران الأمويّ والعباسيّ ثم عرف العصر الأندلسي في الأدب أنواعا كثيرة سيمونها جديدة ثم ماتت، فلا أنا حفلْت بهذه الأنواع في الأدب القديم ولا أنا سأحفل بها كثيرا في الأدب المعاصر. على أنّ الجديد الجديد سيجدُ مكانه في هذا الكتاب ما دام جيدا لا يُخالف العبقرية العربية. وما دمت أنا لن أستطيع أن أضمّ في هذا الكتاب جميع من نشر ونظمَ، وما دام لا بدّ في التخير من الاستغناء عن نفرٍ كثيرين في كل عصر، فلقد وجدتُ أن أستغني عن كل ما لم يعشْ في الأدب الوجداني، على الرغم من أنّ اتجاها سياسيا مُعيّنا أراده لأمرٍ لا صلة للأدب به.

وثاني الحافزين أنني تعمّدت الإيجاز في استنطاق المصادر: يضمّ هذا الجزء الأول أكثر من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدمات للأعصر وللفنون، فلو أنني أطلقتُ لقلمي العنان في تقليب الألفاظ على وجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الأولى بعد الألفِ قبل أن أغادرَ خيامَ الشعراء الأوائل في الجاهلية."[1]

2 . محتوى الكتاب (الجزء الأول والثاني أنموذجا):

. تمهيد في اللغة والأدب وخصائصهما.

. الأعصر الأدبية عند العرب.

[1] ـ تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981م، 1/ 17 - 18

. الحياة الأدبية في الجاهلية.

. العصر الجاهلي.

. أعلام الجاهلية في الشعر والنثر.

. صدر الإسلام الأول.

. النثر والشعر في صدر الإسلام.

. الشعراء والخطباء في صدر الإسلام.

. العصر الأموي والحياة الجديدة.

. الخصائص الأدبية في العصر الأموي.

. أعلام العصر الأموي في الشعر والنثر.[1]

. وحدة الخلافة والشعر المحدث.

. ذروة الشعر المحدث.

. تجزؤ الخلافة والعودة إلى الخصائص القديمة.[2]

3 . مما قاله عمر فروخ عن اللغة العربية:

اللغة العربية" اكتسبت اسمها من الإعراب أو العُروبة أو العُروبية أي الفصاحة والوضوح والبيان من أجل ذلك سمى العرب أنفسهم عربا وسمّوا سائر الأمم عجما(أي لا يُفهمُ عنهم ما يقولون). واللغة العربية أقدم اللغات الحية، فليس ثمت في العالم لغة محكية أقدمُ منها. ولا تزال اللغة العربية تحتفظ بالإعراب تاما كاملا كما كان شأنُ جميع اللغات القديمة. أما معظم اللغات الأخرى فقد فقدت الإعراب. ولكننا نجد الإعراب شبه تام في اللغة الألمانية والإيسلندية. ونجد بعض الإعراب في اللغة الدنمركية واللغة الروسية. وهناك آثار للإعراب في عدد من اللغات الباقية."[3]

ثالثا: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف

1 . التعريف بالكاتب:

أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف أديب وعالم لغوي مصري والرئيس السابق لمجمع اللغة العربية المصري، ولد شوقي ضيف في يوم 13 يناير 1910 في قرية أولاد حمام

[1] ـ تاريخ الأدب العربي: 1/ 7 - 15

[2] ـ تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 2006م، 2/ 5 - 13

[3] ـ نفسه: 1/ 35

فيمحافظة دمياط شماليّ مصر، ويعد علامة من علامات الثقافة العربية، ألّف عددًا من الكتب في مجالات الأدب العربي، وناقش قضاياه.

توفي يوم الخميس 10 مارس 2005 عن عمر يناهز 95 عاما.[1]

2 . مؤلفاته العلمية:[2]

أ ـ في الدراسات الإسلامية:

الوجيز في تفسير القرآن الكريم – سورة الرحمن وسور قصار – الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة – عالمية الإسلام – معجزات القرآن – محمد خاتم المرسلين – القَسَم في القرآن الكريم.

ب . في الدراسات البلاغية والنقدية:

البلاغة تطور وتاريخ – في النقد الأدبي – فصول في الشعر ونقده – في الأدب والنقد.

ج . في تاريخ الأدب العربي بمختلف عصوره وأقاليمه:

العصر الجاهلي – العصر الإسلامي – العصر العباسي الأول – العصر العباسي الثاني – عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) – عصر الدول والإمارات (الشام) – عصر الدول والإمارات (مصر) – عصر الدول والإمارات (الأندلس) – عصر الدول والإمارات (ليبيا – تونس – صقلية) – عصر الدول والإمارات (الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان)

د . في الدراسات اللغوية:

المدارس النحوية – تجديد النحو – تيسيرات لغوية – تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا.

هـ . في الترجمة والسيرة الذاتية:

ابن زيدون الشاعر الأندلسي – شوقي شاعر العصر الحديث – البارودي رائد الشعر الحديث – مع العقاد معي (جزءان)

و . في الدراسات الأدبية:

الفن ومذاهبه في الشعر العربي – الفن ومذاهبه في النثر العربي – التطور والتجديد في الشعر الأموي – دراسات في الشعر العربي المعاصر – الأدب العربي المعاصر في مصر – الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية – البحث الأدبي: طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره – الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور – في التراث والشعر واللغة – في الشعر والفكاهة في مصر – الحب العذري عند العرب – من المشرق والمغرب بحوث في الأدب – البطولة في الشعر العربي – الفكاهة في مصر.

---

[1] ـ نقلا عن موسوعة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] ـ نفسه.

ز . في فنون الأدب العربي:

الرثاء – المقامة – النقد (مترجم إلى الفارسية) – الترجمة الشخصية – الرحلات.

ح . في تحقيق التراث:

كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي – المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (مجلدان) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد – الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر – نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم – رسائل الصاحب بن عباد – النشر في القراءات العشر.

3 . دوافع تأليف الكتاب:

يقول شوقي ضيف:"للباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين كتب مختلفة في تاريخ الأدب العربي أدّت كثيرا من الفائدة والنفع منذ ظهورها، غير أنّ من الحق أنه ليس بين هذه الكتب ما يبسط الحديث في أدبنا وأدبائنا على مرّ التاريخ من الجاهلية إلى العصر الحديث بسطا مفصلا دقيقا. وأغزر هذه الكتب وأحفَلها مادة كتاب (تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان...

وأنا لا أبالغ إذا قلت إنّ تاريخ أدبنا العربي يفتقر إلى طائفة من الأجزاء المبسوطة تُبْحثُ فيها عصوره من الجاهلية إلى عصرنا الحاضر كما تبحث شخصياته الأدبية بحثا مُسهبا، بحيث ينكشف كل عصر انكشافا تاما، بجميع حدوده وبيئاته وآثاره وما عمل فيها من مؤثرات ثقافية وغير ثقافية، وبحيث تنكشف شخصيات الأدباء انكشافا كاملا، بجميع ملامحها وقسماتها النفسية والاجتماعية والفنية.

وقد حاولت أن أنهض بهذا العبء، وأنا أعلم ثقل المئونة فيه، فإنّ كثيرا من الآثار الأدبية القيمة لا يزال مخطوطا لما يُنشر، وكثيرا مما نُشر في حاجة إلى أن يُعاد نشره نشرا علميا. وهناك بيئات أدبية يغمرها غير غير قليل من الظلام، إما لقلة بين أيدينا من تراثها الأدبي، وإما لأنّ الباحثين لم يكشفوا دروبها ومناجمها كشفا كافيا. يُضاف إلى ذلك أنّ تحليل آثار الأدباء وتقويمها ليس عملا سهلا، لكثرة ما يداخلها من عناصر الحياة والفن والمتشابكة؛ ولأنها تتألف من معان وأساليب جميلة، وهي لا تخضع خضوعا مطلقا لقواعد العلم وقوانينه، حقا تخضع للطريقة العلمية، ولكن باستمرار تظل فيها جوانب خاضعة للذوق ونفاذ البصيرة والإحساس المرهف. وذلك كله مما يضاعف الجهد على من يريد تأريخ أدبنا العربي تأريخا مفصلا دقيقا على اختلاف عصوره وتفاوت بيئاته، غير أنه يضاعف في الوقت نفسه لذّته فيه، إذ يرى أمنيته في إتقان عمله بعيدة عسيرة، لا يمكنه بلوغها إلا بشقّ النفس، فيجدّ ويُلحّ، ويمضي في الجدّ والإلحاح، حتى يظفر بما يريد، مؤمنا بأنه لا يقول الكلمة الأخيرة فيما يبحثه، إذ البحثُ الأدبيّ لا يعرف الكلمة الأخيرة في مسألة من مسائله.

ومعنى ذلك أنّ هذا الجزء من تاريخ أدبنا العربي الخاص بالعصر الجاهلي . والذي ستتلوه أجزاء أخرى تتناول بقية عصور هذا التاريخ . لا أزعم أنه يحمل إلى القراء الصورة الأخيرة لهذا العصر، كما لا أزعم أنّ الأجزاء التالية ستحمل الصورة الأخيرة للعصور المتعاقبة. وإنما أزعم أنّ هذه الصورة هي التي استطعت رسمها مع ما بذلت من جهد واصطنعت من نهج وتحرّيت من دقة، وقد يأتي بعدي من يعدّل في جانب من جوانبها بما يهتدي إليه من حقائق أدبية غابت عني في بعض العصور أو بعض البيئات والشخصيات الأدبية. وتلك طبيعة الأبحاث يكمل بعضها بعضا ولا تزال في نمو مطرد. والله أسأل أن يلهمني السداد في القول والفكر والعمل."[1]

4 . نموذج من محتوى كتابه تاريخ الأدب: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي[2]

. كلمة أدب.

. تاريخ الأدب.

. تقسيمات تاريخ الأدب العربي وعصوره.

. الجزيرة العربية وتاريخها القديم.

. العصر الجاهلي.

. الحياة الجاهلية.

. اللغة العربية.

. رواية الشعر الجاهلي وتدوينه.

. خصائص الشعر الجاهلي.

. امرؤ القيس.

. النابغة الذبياني.

. زهير بن أبي سلمى.

. الأعشى.

. طوائف من الشعراء.

. النثر الجاهلي.

. في عصر صدر الإسلام.

. القرآن والحديث.

---

[1] ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط11، دت ، ص 5 ـ 6

[2] ـ نفسه: ص 432 ـ 434

. الشعر.

. الشعراء المخضرمون ومدى تأثرهم بالإسلام.

. النثر وتطوره.

. مراكز الشعر الأموي.

. مؤثرات عامة في الشعر والشعراء.

. شعراء المديح والهجاء.

. شعراء السياسة.

. طوائف من الشعراء.

. الخطابة والخطباء.

. الكتابة والكتاب.

5 . مما قاله شوقي ضيف عن الترادف في اللغة العربية:

يقول شوقي ضيف:" والترادف في العربية كثير كثرة مفرطة، وهو يُردّ في جمهوره إلى اختلاف اللهجات واختلاف القبائل فيما وضعته للمعاني الحسية والذهنية من أسماء وأفعال، فإنّ اللغويين جمعوا كل ما دار على ألسنة القوم، وبذلك اتسعت مادة المعجم العربي اتساعا شديدا، وهو في حقيقته معجم عدة لهجات، نُظمت في سلك واحد هو العربية، وحقّا ميّز اللغويون في مباحثهم الشواذ والشوارد والنوادر والمنكر والمتروك وغير الفصيح وساقوا في ذلك شواهد احتفظ السيوطي في المزهر بكثير منها، ولكنهم حين ألفوا المعاجم حشدوها فيها جميعا. وقد ذهبوا يحصون أسماء السيف مثلا ويقولون إنها خمسون، وبالمثل أحصوا أسماء الأسد والفرس والبعير، وأمدّتهم الاختلافات اللغوية بين القبائل بمدد لا ينفد أو بعبارة أدق لا يكاد ينفد في ذلك كله. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ لغة من اللغات لا يمكن أن تُجاريَ العربية في هذا الباب: باب الترادف، فهو باب واسع فيها، وقد أعدها ليشيع فيها أسلوب من التكرار الصوتي والترادف الموسيقي عند الجاحظ وأضرابه"[1]

رابعا: تاريخ الأدب العربي لمحمد حسن الزيات

1 . التعريف بالكاتب:

ولد الزيات في قرية كفر دميرة القديم التابعة لمركز طلخا بمحافظة الدقهلية بمصر في 16 جمادى الآخرة 1303 هـ، 2إبريل 1885 م، ونشأ في أسرة متوسطة الحال تعمل بالزراعة.تلقى تعليمه في كتاب

[1] ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ـ ص 128 ـ 129

القرية، فحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، ثم أرسل إلى أحد العلماء في القرية المجاورة ليتعلم القراءات السبع وأجادها في سنة واحدة.

التحق الزيات بالجامع الأزهر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وظل فيه عشر سنوات، وتلقى في أثنائها علوم الدين واللغة العربية، إلا أنه كان يفضّل الأدب فتعلق بدروس الشيخ سيد علي المرصفي الذي كان يدرس الأدب في الأزهر، كما حضر شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي، أحد أعلام اللغة العربية البارزين آنذاك.

اتصل الزيات بطه حسين، ومحمود حسن الزناتي، وكانوا يقضون أوقاتا طويلة في دار الكتب المصرية لمطالعة عيون الأدب العربي، ودواوين فحول الشعراء، ولكن لم يكمل الزيات دراسته بالأزهر وإنما التحق بالجامعة الأهلية فكان يدرس بها مساء ويعمل صباحا بالتدريس في المدارس الأهلية. والتقى الزيات في عمله بالعديد من رجال الفكر والأدب في عصر النهضة، مثل :العقاد، والمازني، وأحمد زكي، ومحمد فريد أبو حديد. ولقد اختارته الجامعة الأمريكية بالقاهرة رئيسا للقسم العربي فيها في عام 1922 م، وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية وكانت الدراسة بها ليلاً، ومدتها ثلاث سنوات، أمضى منها سنتين في مصر، وقضى الثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس في سنة 1925 م.

في عام 1929 م اختير أستاذا في دار المعلمين في بغداد، فترك العمل في الجامعة الأمريكية وانتقل إلى هناك. ولم ينتمِ الزيات طيلة حياته لأي حزب سياسي، وظل الزيات محل تقدير وموضع اهتمام حتى وفاته في القاهرة في صباح الأربعاء الموافق 16 ربيع الأول 1388 هـ/12 مايو 1968 عن عمر ناهز 83 عاما. وقد نقل جثمانه إلى قرية كفر دميرة ودفن فيها[1].

2 . مؤلفاته العلمية:[2]

- تاريخ الأدب العربي
- في أصول الأدب
- دفاع عن البلاغة
- وحي الرسالة(وجمع فيه مقالاته وأبحاثه في مجلة الرسالة)

ومن أعماله المترجمة من الفرنسية:

- آلام فرتر "لغوته"
- رواية روفائيل للأديب الفرنسي لامارتين.

[1] ـ نقلا عن موسوعة ويكيبيديا:https://ar.wikipedia.org/wik

[2] ـ نفسه.

بالإضافة لذلك له مجموعة قصصية بعنوان "من الأدب الفرنسي".

3 . دوافع تأليف الكتاب:

يقول الزيات:"كتبنا هذا الكتاب على خير ما رجوناه من التمحيص والتلخيص، وحجزنا القلم عن وجهه ومَرادُ القول رحب ومجال البحث مستفيض؛ فأجملنا على رغمنا حال الأدب في العصور الخمسة ولا سيما في العصر العباسي وهو أرقى عصور الإسلام، ومشرق نور الحضارة، ومهبط وحي العلم، وريق شباب اللغة، وقوفا بالطالب عند درسه، وترفيها منا عن نفسه، واجتزاء ببسط الغرض ونهج السبيل ليُمعنَ فيها الناشئ البار بلغته مسدد الخطى مؤيد العزيمة، حتى يقف على أطوار لسانه، ويكشف عن أسرار بيانه. ولا نكذب الله فقد كان لمنهاج التعليم في هذا البلد وزهادة الناشئين في الإفاضة، أثر قوي في هذا الإيجاز، فكلمتنا للمتعقب، إذا رأى في هذا الموجز إجمالا أو إغفالا ألاّ يبسط بالنكير لسانه، فإنّ هذا العلم في العربية وليد، والبحث فيه طريف جديد. ونحن إنما كتبناه لناشئة الأدب لا لفحولهن وألمنا فيه بأصوله لا بفصوله. كلمتنا للمتعلم، إذا استوعاه بالدرس، واستقراه بالحفظ، ألا يقف في الطلب عنده، وألا يقصرَ عليه جهده، فإنما هو عجالة لهفان وبُلالة صادٍ وعلالة مَشوق"[1]

4 . محتوى الكتاب:[2]

. أدب اللغة، تاريخ الأدب، فائدة تاريخ الأدب، تقسيم تاريخ الأدب، العرب ومواطنهم، أحوال العرب.

. العصر الجاهلي.

. عصر صدر الإسلام والدولة الأموية.

. العصر العباسي.

. العصر التركي.

. العصر الحديث.

5 . مما قاله الزيات عن فائدة تاريخ الأدب:

يقول الزيات:" لتاريخ الأدب الأثر البالغ في حياة الأمة. فإنّ المحافظة على اللغة وما فيها من ثمار العقل والقلب أحد الأساس التي يبنى عليها الشعب وحدته ومجده وفخره. فإذا حرمت شعبا آدابه وعلومه الجليلة الموروثة فقطعت سياق تقاليده الأدبية والقومية حرمته قوام خصائصه ونظام وحدته، وقُدته إلى العبودية العقلية وهي شر من العبودية السياسية لأنّ استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه، ويرجى شفاؤه، أما استعباد الروح فموت للقومية التي لا يقدر على إحيائها طبيب."[3]

---

[1] ـ تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، مصر، دط، دت، ص 1 من المقدمة.

[2] ـ نفسه: ص 1 ـ 8

[3] ـ نفسه: ص 4

المحاضرة رقم (13): مصنفات في النقد المغاربي المعاصر

تمهيد:

لقد عرف الأدب العربي عامة ظهور نقاد لهم موهبة كبيرة جدا سواء بالممارسة أو بالطبع الذي وُلدوا عليه، حيث عرفنا نقادا في العصر الجاهلي لم يبلغوا بعد إلا أنهم أبهروا الشعراء بنقدهم، ونقصد بذلك طرفة بن العبد، ومع مرور الزمن انقسم بحسب الرقعة الجغرافية، حيث نجد نقدا في المشرق وفي المقابل نجد النقد المغربي، وهذا الأخير(النقد المغاربي) هو الذي سنعرض لأهمّ المصنفات فيه.

1. تعريف النقد:

مصطلح النقد عندما يُذكر يتبادر إلى أذهان عامة الناس معنى ضيق يخص جانبا من جوانب النقد وهو إظهار فضائله وعيوبه ومواطن القوة والضعف فيه:" قال أبو الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك معنى نقدتهم عبتهم واغتبتهم،...ونقد الدراهم: أي إخراج الزيف، وناقدت فلانا، إذ ناقشته في الأمر"[1]

وأما أهل الأدب فيردوه إلى دراسة الأثر الفني أو الأدبي" والنقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، أو الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقديم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى وهي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجا واضحا، مؤصلا على قواعد ـ جزئية أو عامة ـ مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز"[2]

فالنقد يقوم اعتمادا على الأدوات النقدية المعروفة قصد التفسير والتقويم والتوجيه.

أما خاصة أهل الأدب فيردونه إلى معنى تحليل الأعمال الأدبية ووصف بنيتها" فالنقد هو الخطاب الواصف للأدب بصرف النظر عن مستويات الوصف، وتوظيفاته"[3]

أما (عبد الملك مرتاض) فيصف النقد بأنه" لم يعد مجرد إصدار أحكام ساذجة أو متحيزة أو حتى نزيهة وموضوعية؛ ولكنه أمسى ممارسة معرفية شديدة التعقيد؛ ولا تجتزىء بإصدار الأحكام الجاهزة للنص الأدبي أو عليه؛ ولكنها تعمد إلى تحليل الظاهرة الأدبية ضمن جنسها الأدبي، وتأويلها بواسطة شبكة من الإجراءات والأدوات المعرفية..لقد أمسى النقد الأدبي جهازا معرفيا لا ينفك يتعقد ويتعمق كلما أوغلنا في المعرفة الإنسانية المتطورة"[4]

---

[1] ـ لسان العرب: 14/ 254

[2] ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1983م، ص5

[3] ـ الأدب وخطاب النقد: عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، دط، 2004م، ص99

[4] ـ في نظرية النقد ـ متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها ـ عبد الملك مرتاض، دار هومه، الجزائر، دط، 2002م، ص 227

إذ النقد عنده فعالية فكرية ذوقية، ودراسة الأعمال الأدبية والفنون وتفسيرها وتحليلها وموازنتها والكشف فيها عن مواطن الجمال والقيمة، ثم الحكم عليها بواسطة شبكة من الإجراءات والأدوات المعرفية. فهو عملية وضعية تبدأ بعد عملية الإبداع مباشرة وتستهدف قراءة النص الأدبي ومقاربته وبيان مواطن الجودة والرداءة فيه. كما يخدم النقد أطراف العملية النقدية وهي: القارىء، والمبدع، والنص. وهذا ما عبّر عنه عبد السلام المسدي في قوله:" النقد خطاب: وكل خطاب يتحدد بأطراف التخاطب فيه وأكثرها إيقاعا المخاطب الفاعل للخطاب والمخَاطب المفعول له الخطاب ثم مضمون الخطاب"[1]

2 . مهمة النقد وحدوده:

يعدّ النقد عنصرا فاعلا في تطور الحركة الفكرية والأدبية، فهو يساهم في إنتاج المعرفة ويزداد فعالية حين ينأى عن العلاقات الشخصية. فالنقد نشاط إنساني يقتصر على الإبداع، وهو عملية متشبعة تتناول الذوق الذي ثقفته الخبرة؛ إذ يعدّ النقد الأدبي كما يقول محمد الدغمومي:"النقد حين يكون نقدا لا يقصد الخيانة بروح لا أخلاقية، فهو دائما منصف للإبداع، ينتصر له، لكن كل نقد ينشأ من نزوات إخوانية ودعائية تزلفية، هو نقد منافق، يتبخر مع نفثة السيجارة ويحترق باحتراقها، ولا يترك سوى رائحة مؤذية. النقد ينصف الإبداع ولو كان مختلفا مع النص إذا تجرد من النزوات والحسابات الدعائية والعدوانية"[2]

فمن واجب النقد أن يغوص في أعماق النص، ويكشف عن مواطن جماله مستعينا بالمناهج النقدية الحديثة بشرط أن يستدعيها النص" فالنقد دراسة العمل الأدبي وتمثله وتفسيره وشرحه، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية، وتقويمه فنيا وموضوعيا"[3]

وقد حصل تغيير في مهام النقد، فبعد أن كان النقد الكلاسيكي يهدف إلى إصدار الحكم بجودة العمل أو عدم جودته، وتقويم العمل بالمقارنة مع نتاج آخر" أصبح يفسر الآثار الأدبية ويبين الأصول اللازمة لفهمها، والوجوه التي تفهم عليها وهو بذلك ييسر قراءتها على الناس ويصل بينهم وبين الشعراء والكتاب ...فتتمكن منزلتهم في النفوس، ويشتركون في بناء الحياة الاجتماعية مؤثرين ومتأثرين"[4] إذ بدأ يركز على مهام أخرى هي: الفهم، والتفسير، والتمييز، والتحليل.

إذ لا يقف النقد الأدبي الخلاّق عند بيان المساوىء والمحاسن؛ وإنما يتعدى ذلك إلى" اقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع من آفاقه إلى فنون جديدة وأساليب ممتعة...ولقد كانت التيارات النقدية سببا في تأليف الكتب والفصل في الخصومات"[5]

---

[1] ـ في نظرية النقد ـ متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها ـ ص 36
[2] ـ نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر: محمد الدغمومي، كلية الآداب، الرباط، ط1، 1999م، ص77
[3] ـ دراسات في النقد الأدبي: حسن جاد، دط، 1977م، ص 21
[4] ـ أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط8، 1973م، ص 171
[5] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

كما يمكن أن نُجمل هذه المهام كما عبر عنها (مرتاض) بقوله:" لعل غاية النقد هي اهتداء السبيل إلى حقيقة النص، بتعبير فلسفي، أو إلى فهمه بتعبير التأويلية الغاداميرية، أو إلى تفسيره بمصطلح علماء التفسير، أو استكشاف علاقة الدال بالمدلول بتعبير اللسانيين البنويين، أو إلى الكشف عن نظام الإشارة فيه بتعبير السيميائيين أو إلى تقويضه، أو تفكيكه بمصطلح الدريديين. فالغاية من النقد كما نرى تختلف باختلاف الاتجاهات الفنية، والتيارات الفكرية."[1]

3 . مصنفات في النقد المغاربي المعاصر:

عرف النقد العربي المعاصر عدة اتجاهات نقدية، تتابعت أو تزامنت وعاشت في الفترة نفسها، رغم اختلاف مسالكها ومبادئها وطرق إجراءات وآليات دراستها.

في خضمّ كل هذه الدراسات ظهر نقاد مغاربة اهتموا هم أيضا بهذا النوع من الدراسات النقدية من بينهم: حميد لحمداني، عبد السلام المسدي، عبد الملك مرتاض.

أ . نبذة مختصرة عن النقاد المعاصرين الثلاثة:[2]

حميد لحمداني	عبد السلام المسدي	عبد الملك مرتاض
. ولد حميد لحمداني سنة 1950 ببوعرفة (المغرب) . هو ناقد وأكاديمي وقاص وروائي مغربي، له عدة مؤلفات ف النقد السردي وأعمال إبداعية، ويُعدّ خبيرا في المناهج النقدية والدراسات السردية والترجمة، حائز على عدة جوائز منها جائزة مدينة فاس للثقافة والإعلام، وجائزة الرواية العربية في الأردن عن روايته(رحلة خارج الطريق السيار). . عمل أستاذا جامعيا. . أشرف على عديد الرسائل الجامعية في مجالات النقد الحديث والمعاصر، والسرديات، والسيميائيات، والأسلوبية، ونظرية التلقي.	. ولد عبد السلام المسدي في 26 يناير1945 بصفاقص (تونس) . يعد واحدا من النقاد القلائل الذين ترسخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي، ليس في تونس فقط بل في العالم العربي. . عمل أستاذا في اللسانيات بتونس، كما تولى عدة مناصب سياسية. . تحصل على عديد الجوائز منها:جائزة الدولة، وجائزة سلطان العويس في الآداب، والجائزة التكريمية من مؤسسة يماني الثقافية... . من مؤلفاته: الأسلوب والأسلوبية، التفكير اللساني في الحضارة العربية، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، النقد	. ولد عبد الملك مرتاض في 10 أكتوبر 1935م بتلمسان. . هو كاتب وأستاذ جامعي وأديب جزائري. . ترأس المجلس الأعلى للغة العربية عام 2001م . من مؤلفاته: نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، زواج بلا طلاق(مسرحية)، الأدب الجزائري القديم . دراسة في الجذور في نظرية النقد . متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها .، في نظرية الرواية، نظرية البلاغة، نظام الخطاب القرآني، ملامح الأدب العربي المعاصر في السعودية، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، معجم الشعراء

[1] ـ في نظرية النقد ـ متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها ـ ص 51

[2] ـ ينظر: محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد: ص 204 - 207

. من مؤلفاته: من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية . رواية المعلم علي نموذجا . الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، في التنظير والممارسة: دراسات في الرواية المغربية، أسلوبية الرواية . مدخل نظري . النقد الروائي والإديولوجيا، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، معايير تحليل الأسلوب . ميخائيل ريفاتير . عن الفرنسية . الترجمة الأدبية التحليلية: ترجمة شعر بودلير نموذجا.....	والحداثة، قاموس اللسانيات، مراجع النقد الحديث، آليات النقد الأدبي، المصطلح النقدي، ما وراء اللغة، النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص،...	الجزائريين في القرن العشرين، القصة الجزائرية المعاصرة، تحليل الخطاب السردي، أجمل اللغات، العربية أعظم اللغات، النص الأدبي من أين وإلى أين؟ الثقافة العربية في الجزائر، قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل....

ب: المصنفات النقدية

أولا: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحميد لحمداني:

يحدد لحمداني الهدف من وراء تأليفه لكتاب بنية النص السردي في مقدمة كتابه يقول:" يتحدد الهدف من وضع كتاب عن بنية النص السردي في غاية ذات بعدين: البعد الأول: تقديم معرفة منتظمة بالجهود المبذولة خارج العالم العربي، وهي جهود ليس لها نظير في ثقافتنا النقدية، وتأتي أهمية التجربة النقدية البنائية من حيث أنها أعادت النظر في طبيعة ممارسة تحليل الأعمال الأدبية استنادا إلى معطيات علمية، وخاصة بعد التطور الكبير الذي عرفته الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة، وهو ما لم يحدث في ثقافتنا بسبب غياب أي اهتمام بالسرد في النقد القديم، وبسبب هيمنة نظرية الشعر على الدراسات الأولى التي ظهرت في بداية هذا القرن، مع أنها كانت تقوم بتحليل أعمال سردية لها طبيعة مخالفة، وكذلك بسبب هيمنة المناهج الخارجية فيما بعد على تحليل هذه الأعمال.

البعد الثاني: هو محاولة اختبار المسيرة النقدية التي قطعتها التجربة العربية في هذا الميدان بحكم أنّ السنوات العشر الأخيرة بدأت تعرف ميلا نحو تطبيق هذا التحليل الداخلي ذاته في دراسة النصوص السردية، وقد اشتملت أغلب الدراسات التي وظّفت المقاربة البنائية على مقدمات ومداخل تعكس كيفية تمثل النقاد لكثير من الجهود المبذولة في هذا المجال.

كما أنّ تطبيق معطيات المنهج البنائي على النص العربي لم يكن أبدا يخلو من خصوصية لذلك يصبح من مهام هذه الدراسة أن ترصد التغيرات الحاصلة في المقاربة البنائية للسرد سواء من جانبها النظري أم من جانبها التطبيقي.

ولأنّ النظرية النقدية البنائية هي نظرية موزعة حتى في مواطن نشأتها وتطورها(لأنها عبارة عن جهود متفرقة تلتقي أساسا عند محاولة عَلمنة الدراسة النصية للأدب) فإنّ الحديث عنها يقتضي الرجوع إلى هذه المحاولات المتفرقة ذاتها، مع مراعاة انتظامها التاريخي قدر الإمكان لكي يتضح للقارئ خط تطورها الطبيعي.[1]

ويحوي الكتاب الموضوعات التالية:[2]

. أصول تحليل بنية النص السردي.

. مكونات الخطاب السردي.

. بنية النص الروائي من منظور النقد العربي.

ثانيا: الأدب وخطاب النقد وقراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون للمسدي:

الكتاب الأول تناول فيه المسدي جانبين: الأول عرض فيه تصوراته حول موضوع الادب والنقد بشكل عام، والثاني فيه كيفية إنتاج وكتابة النص النقدي، ودرس هذا الموضوع من خلال ما وجده عند الغربيين؛ حيث تعرض المسدي لدراسة الكتاب الذي ألفه(جاكبسون) بعنوان(اللسانيات والشعرية)؛ إذ دعا القارىء العربي من خلاله إلى إعادة إنتاج القراءة لمختلف النصوص النقدية التي يتلقاها من بيئة أخرى، وذلك لكي يتسنى له الوصول إلى جوهر المسائل وفهمها بصورة واضحة. كما تتبع مسار تطور المناهج النقدية والكتابات النقدية الغربية، مشيرا أنه يحاول التأريخ للمراحل التي ولدت الكتابة النقدية والنص النقدي بصفة عامة، ذاكرا أهم الرواد الغربيين في هذا المجال(بداياتهم وأهم الأعمال التي قاموا بها في ميدان النقد) منهم: بدايات (لفي ستراوس) و(دريدا) و(تودوروف) ...وغيرهم.

وخلاصة قوله في هذا الكتاب هو أنّ النقد الأدبي الحديث مجال يتطور بصفة سريعة، ولكن كل المناهج متعالقة فيما بينها بشكل أو بآخر، سواء كان ذلك في المرجعيات أم في المواضيع التي تتناولها.

وبالنسبة للكتاب الثاني فقد قام المسدي بعدة قراءات نقدية كما يتضح من العنوان، وأهمها دراسته المتعلقة بالجاحظ والدراسة المتعلقة بابن خلدون.

من خلال ما ورد في هذه القراءات نخلص إلى أنّ المسدي عمد إلى إبراز خصائص الفكر العربي الأصولي فعاد إلا النقد العربي القديم شارحا آراء نقاد ومفكرين آخرين، مقارنا إياهم بابن خلدون، مع الاستدلال من الكتب العربية الأدبية القديمة منها والحديثة، مع البحث عن علاقة الفكر المعاصر ومناهجه بالجذور

[1] ـ بنية النص السردي من منظور النقد الادبي: حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1991م، ص5

[2] ـ نفسه: ص 157 - 159

الأصولية للفكر العربي، وخاصة نجده يربط ذلك بالعلوم اللسانية التي تخصص فيها، كما نجده استعان في بحثه بمنطق الرياضيات ومختلف المعادلات التي ظهرت على شكل رسوم بيانية، ثم انتقل إلى ربط ذلك بالبعد الاجتماعي.

يمكن القول إنّ المسدي كان مهتما بالأدب العربي قديمه وحديثه، استعان بمختلف العلوم بالإضافة إلى لغته الشارحة، استعمل المنهج التاريخي الذي يتبع من خلاله تطور العلوم وتقدمها، والمنهج الإحصائي لتبرير آرائه ونتائجه، أضف إلى أنه يتمتع بالميل إلى التاريخ الثقافي والأدبي والنقدي للحضارة العربية، فنجده دائما يميل إلى تمجيد الماضي والأصول العربية، فلا يقلل أبدا من شان الدراسات القديمة؛ بل يسعى للعودة إلى نقد القدماء وقراءته بطريقة معاصرة، ونلمس ذلك في معظم كتابته وأفكاره وأسلوبه الذي يدعو من خلاله إلى حفظ الماضي وتمجيده.[1]

فحوى كتاب الأدب وخطاب النقد للمسدي:[2]

. النقد والتظافر المنهجي.

. الناقد الادبي والميثاق المعرفي.

. الناقد العربي ومرجعيات التواصل.

. التواصل النقدي والأنموذج اللساني.

. اللسانيات وفلسفة النقد.

. الأنساق والمناويل.

. اللغة والأدب في اللسانيات الذهنية.

. الالتباس المعرفي وتبرئة المصطلح.

. في أدبيات الغموض النقدي.

. الاحتفاء الثقافي والعقل النقدي الغائب.

. في تصحيح الخطاب النقدي.

. النص النقدي وحيثيات كتابته.

ثالثا: في نظرية النقد لعبد الملك مرتاض:

يعتبر هذا الكتاب موسوعة نقدية فريدة، ويظهر على غلافه رسم تشقق في أرضية خرجت من بينها نظرية النقد، وأعلنت عن كيانها، ونلاحظ أيضا وجود زخرفات معمارية إسلامية يتوسطها عدد من الصلبان، وهذا

[1] ـ محاضرات في مقياس مصادر اللغة والأدب والنقد: ص 200 - 201

[2] ـ الأدب وخطاب النقد: عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 359

إن دل على شيء فإنما يدل على التمازج الثقافي، والتلاقح الفكري الذي يحيل إلى عالمية النقد وشمولية نظريته.

قسم مرتاض كتابه إلى **ثمانية فصول**، وزعها بترتيب زمني واضح، من لدن ابن سلام الجمحي، وإشكالية الانتحال، وابن قتيبة أول الشكلانيين، مرورا بالنقد المنهجي وخلفيات السياق الفلسفية إلى وهم النسق، وسلطة البناء النصي، وانتهاء بتعددية القراءة أو ما يعرف بنقد النقد.

القراءة والكتابة، النقد،والمستحيل: تقديم أثار به الكاتب قريحة القارئ من خلال الغوص به في فلسفة القراءة وتعقيداتها فكأن الكتابة والقراءة وجهان لعملة واحدة؛ ذلك أن الكتابة في أكثر أوجهها لا تعتبر إلا قراءات متعددة أيا كان مشربها.

الفصل الأول: النقد والنقاد، الماهية والمفهوم

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن ماهية النقد وجوهره ليرجع قارئه إلى سنين خلت وصراع فكري ولىّ. هل النقد علم أم فن؟ سؤال لا زال جوابه محل نقاش عند بعض المتخصصين، في حين أن بعضهم الآخر اعتبر المسألة قد قتلت بحثا، وأن النقد علم في علميته وفن في فنيته ومتاخمته للإبداع الأدبي.

الفصل الثاني: الصراع بين النقد القديم والحديث

تناول مرتاض الكثير من القضايا الحديثة كماهية النقد التي لطالما تغنى بها في كتابه هذا، وبالأخص عن النقد الحديث والقديم وأزلية الصراع بينهما بذكره للمعارك النقدية والأدبية منذ أزمنة عديدة كالمتنبي وخصومه قديما، والرافعي مع طه حسين حديثا، الصراع الأدبي الذي كانت أبرز مواضيعه هي النقد القديم في العصر الحديث.

الفصل الثالث: النقد الجديد بين التحليل والقراءة

في هذا الفصل تطرق الكاتب إلى مفهوم القراءة أولا ثم التحليل ثانيا، مما جعله يتذكر ويذكرنا معه بقراءات علمائنا المتقدمين التي أسموها شروحا، وقد استحسن ذلك، بحكم أن الشرح لا يرتقي إلى مستوى القراءة، وفي الوقت نفسه لا ترتقي هي إليه، وتفسير ذلك أن لكل منهجه وأسلوبه وربما هدفه، بل وزاويته الخاصة.

الفصل الثالث: النقد والخلفيات الفلسفية

لقد أخذ الحديث عن الفلسفة وتأثيرها في هذا الفصل حيزا كبيرا، بيد أن المناهج النقدية الحديثة وحتى القديمة – على المدى المتوسط – تكمن منابع مشاربها في مذاهب فلسفية مختلفة كالوجودية والماركسية والنفعية البراغماتية. وأخيرا – وليس آخرا – التقويضية الديريدية [نسبة إلى جاك ديريدا]. وعالج الكاتب في هذا الفصل مفهوم الكتابة لدى الفلاسفة وتعصب بعضهم للكلام المنطوق على الكلام المكتوب.

الفصل الرابع: النقد الاجتماعي في ضوء النزعة الماركسية

في هذا الفصل نجد اجتهادا كبيرا من طرف الكاتب الذي أبى إلا أن يذكر كل صغيرة وكبيرة تخص النقد الاجتماعي، فقد تطرق إلى الأصول الماركسية من جهة والتأثيرات التينية من جهة أخرى، ثم يمر بعد ذلك إلى إشكالية طرحها هو بنفسه، تكمن في قوله: هل النقد الاجتماعي أم علم اجتماع الأدب؟

الفصل الخامس: النقد ونزعة التحليل النفسي

نحت مرتاض مصطلح "التحلفسي" بمزج كلمتي "التحليل" و"النفسي"، الذي يعتبر فرويد رائدا له بامتياز.

تكمن غاية هذا المبحث العلمي في دراسة النفس البشرية وما يكتنفها من الداخل أو الخارج.

لقد تطرق الكاتب من خلال حديثه عن التحلفسي إلى الأسس الكبرى لهذه النظرية التي لا تعدوا حسب أحد النقاد الفرنسيين المعاصرين إلا أن تكون هراء أو عبثا بعقول الآخرين.

الفصل السادس: علاقة النقد باللغة واللسانيات

عالج الكاتب في هذا الفصل مفهوم الكتابة الأدبية بين اللغة واللسان بالإضافة إلى العلاقة الوطيدة التي تجمع النقد الأدبي بعلم اللسان، والتي تتجلى في الجوانب اللغوية للنقد وحاجته الكبيرة – كذلك – لفلسفة اللسانيات الجديدة وما نتج عنها كفكرة النسق والسياق.

الفصل السابع: النقد البنوي والتمرد على القيم

ومن دون مقدمات ارتجالية أو تاريخية تطرق الكاتب إلى إشكالية مصطلح البنيوية، والذي اعتبره مغالطة يجب محوها وبيان المصطلح الصحيح – ألا وهو البنوية – ووجوب إظهاره، وتسويقه بين الأكاديميين وغيرهم.

الفصل الثامن: في نقد النقد

كانت من عادة النقاد العرب المعاصرين أن يطلقوا على سابقة(meta)مصطلح (المابعد) أو (الماوراء) مما استهجنه الكاتب، بحكم أن المصطلح لا يخلو من الغموض وأن ضبطه يعد إشكالية وقع فيها الكثير من الباحثين.

بعد الحديث عن المصطلح (نقد النقد) توجه الكاتب إلى نقد النقد عند العرب وتجربة علي بن عبد العزيز الجرجاني التي تجلت في دفاعه عن المتنبي وشعره بحكم وجود توارد للخواطر بين الشعراء، وأن اللغة مشتركة بين الأدباء يغترفون منها كما شاؤوا.[1]

[1] ـ ينظر: مجلة عود الند، ملخص كتاب في نظرية النقد لعبد الملك مرتاض، عبد الرحمن بردادي، مجلة ثقافية فصلية، قدم هذا التلخيص ونوقش في جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، في إطار مشروع خطوات نحو التميز، الناشر: عدلي الهواري، نقلا عن موقع: https://www.oudnad.net/spip.php

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم (14): مدونات الأدب المقارن - غنيمي هلال -

تمهيد:

على أيّ إنسان يدّعي العمل في حقل الأدب المقارن أن يجيب على سؤال لا مفرّ منه: ما الأدب المقارن؟ وأبسط الإجابات هي أنّ الأدب المقارن يُعنى بدراسة نصوص عبر ثقافات مختلفة، وأنه واحد من مجالات الدراسة البينية، وأنه يهتم بأنماط العلاقات في الآداب عبر كل من الزمان والمكان.

وعلى الرغم من أنّ معظم الناس لا يبدءون بالأدب المقارن إلا أنهم بطريقة أو بأخرى ينتهون إليه، متجهين نحوه من نقاط بداية شتى، وتبدأ الرحلة أحيانا بالرغبة في تخطّي حدود موضوع ضيّق يفرض قيودا شديدة، وفي أحيان أخرى يجد القارىء نفسه مدفوعا دفعا بما يراه من تشابه بين نصوص أو أدباء ينتمون إلى ثقافات مختلفة، وربما قام بعض القراء ببساطة بالموافقة على وجهة النظر التي عرضها ماثيو آرنولد (Matiou Arnolde) في محاضرته الافتتاحية بأكسفورد عام 1857 عندما قال:" في كل مكان توجد علاقة، وفي كل مكان يوجد مثال وإيضاح، وليس بإمكاننا فهم حدث واحد أو أدب واحد بطريقة ترضينا إلا بدراسة علاقته بأحداث أخرى أو آداب أخرى"[1]

إنّ الأدب المقارن خطوة ضرورية من خطوات القراءة سهلها إلى حد كبير التسويق الدولي للكتب وتوفر الترجمات.

ونحن في هذه المحاضرة سنسلط الضوء على واحد من العلماء المشهورين في مجال الأدب المقارن ألا وهو محمد غنيمي هلال.

1 . التعريف بالكاتب:

ولد الدكتور محمد غنيمي هلال في قرية(سلامنت) بمحافظة الشرقية في 18 مارس 1916م، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المعهد الديني التابع للأزهر الشريف بمدينة الزقازيق، وفي سنة 1937م التحق بدار العلوم وتخرّج فيها سنة 1941م، وكان أصغر الخرجين منها؛ إذ لم تزد سنّه يومئذ عن 25 سنة، وعمل بعد تخرّجه مباشرة معلما للغة العربية لمدة أربعة سنوات. وفي ديسمبر 1945م سافر إلى فرنسا في أول بعثة مصرية إلى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية ومكث في باريس 7 سنوات من عمره، حصل في غضونها من جامعة السوربون على درجة ليسانس في الآداب ثم على درجة دكتوراه الدولة المصرية سنة 1952م في مادة جديدة على الجامعة المصرية في الأدب المقارن، وفي ماي سنة 1952م عاد إلى مصر

[1] - الأدب المقارن - مقدمة نقدية - سوزان باسنيت، ترجمة: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1999م، ص5

حين عمل محاضرا ثم أستاذا مساعدا للأدب المقارن والنقد الأدبي في كلية دار العلوم، وظلّ يؤدي رسالته العلمية في الكلية حتى سنة 1961م حيث انتدب.

وفي أثناء عمله بكلية دار العلوم للتدريس بالجامعة الأمريكية قسم اللغات الشرقية وفي سنة 1963م نُقل إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر أستاذا ورئيسا لقسم الدراسات العربية، وفي عام 1966م أعير لكلية الآداب بجامعة الخرطوم وظلّ يعمل بها حتى داهمه المرض في أواخر عام 1967م فلازم الفراش حوالي ثلاثة أشهر عاد بعدها إلى القاهرة في مارس عام 1968م ولم يتحقق شفاؤه في القاهرة فقررت وزارة التعليم العالي علاجه على نفقة الدولة في الخارج ولكن علقته المنية قبل أن يتحقق ذلك، ومضى إلى ربه في 26 يوليو 1968م مخلفا ثروة فكرية ضخمة من الكتب المطبوعة والمخطوطة.[1]

2 . مؤلفاته:

. الأدب المقارن.

. الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية.

. دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر.

. النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة.

. في النقد التطبيقي والمقارن.

. دراسات أدبية مقارنة.

. دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده.

. النقد الأدبي الحديث.

. المواقف الأدبية.

. نماذج إنسانية من الأدب المقارن.

. في النقد المسرحي.[2]

3 . التعريف بكتاب الأدب المقارن:

في سنة 1953 أصدر محمد غنيمي هلال كتابه الموسوم ب(الأدب المقارن) ومن خلاله تعرف القارىء العربي على المنهج الفرنسي في الدراسات المقارنة، وظلّ هذا الكتاب مرجعا في الأدب المقارن لأكثر من

[1] ـ المصادر الأدبية واللغوية: ص 61

[2] ـ ص 213 - 214

عقدين في الجامعات العربية، ثم أصدر كتبا أخرى وكانت في مجملها عبارة عن تكرار لما جاء في كتابه الأول، كما هو ملاحظ في عناوين المؤلفات التي ذكرناها سابقا.[1]

قسّم غنيمي كتابه إلى بابين؛ خصص الباب الأول للحديث عن تاريخ نشأة الأدب المقارن في الغرب وفي الجامعات المصرية ويندرج تحت هذا العنوان أربعة فصول هي كالتالي:[2]

. الفصل الأول: تاريخ نشأة الأدب المقارن في أوربا.

. الفصل الثاني: الوضع الحالي للدراسات المقارنة في جامعات الغرب وفي الجامعات المصرية.

. الفصل الثالث: عدة الباحث في الأدب المقارن.

. الفصل الرابع: ميدان البحث في الأدب المقارن.

أما الباب الثاني فخصصه الغنيمي لبحوث الأدب المقارن ومناهجها واحتوى على سبعة فصول هي كالتالي:

. الفصل الأول: عالمية الأدب وعواملها.

. الفصل الثاني: الأجناس الأدبية.

. الفصل الثالث: المواقف الأدبية والنماذج البشرية.

. الفصل الرابع: تأثير كتاب أدب من الآداب في الآداب.

. الفصل الخامس: دراسات المصادر.

. الفصل السادس: المذاهب الأدبية.

. الفصل السابع: تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب الأخرى.

4 . ماهية الأدب المقارن عند غنيمي هلال وفائدته:

يتحدث غنيمي هلال عن الأدب المقارن في تقديم الطبعة الثالثة بقوله:" فالدراسات المقارنة من نوع الدراسات الإنسانية التي من شأنها أن تزدهر في عصور النهضات، ويقظة الوعي القومي والإنساني. ولهذا ظهرت في صورتها البدائية حين نهض الأدب اللاتيني على أثر اتصاله بالأدب اليوناني في القديم، وتبلورت بذورها الأولى في عصر النهضة الأوربية، فتمثلت في نظرية جديدة أطلق عليها كتاب عصر النهضة: نظرية المحاكاة، على نحو ما أشرنا في الكتاب، واقترنت بالنزعة الإنسانية لذلك العصر، ثم أصبحت في العصر

[1] - مصادر اللغة والأدب والنقد، ص 214 نقلا عن: الأدب المقارن مفهومه ومدارسه ومجالات البحث فيه: علي أصغر ومحمد زبير أكمل، وراحيلة خالد قريشي، ص 400 - 401

[2] - الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، 2008م، ص 371 - 379

الحديث علما أصيلا ذا فروع كثيرة في جامعات العالم، نتيجة حتمية لتأصيل النزعة الإنسانية في هذا العصر"[1]

ويقول متحدثا عن فائدة الأدب المقارن:" وإلى جانب ما يزودنا الأدب المقارن به من تغذية شخصيتنا القومية، وتنمية نواحي الأصالة في استعداداتنا، وتوجيهنا توجيها رشيدا، وقيادة حركات التجديد فيها على منهج سديد مثمر، وإبراز مقومات قوميتنا في الحاضر، وتوضيح مدى امتداد جهودنا الفنية والفكرية من التراث الأدبي العالمي . إلى جانب ذلك كله . تظلّ للأدب المقارن رسالة إنسانية أخرى، هي الكشف عن أصالة الروح القومية في صلتها بالروح الإنسانية العامة في ماضيها وحاضرها"[2]

وقد ذكر الغنيمي الهدف من تأليف الكتاب في نهاية الطبعة الثانية حيث يقول:" وهذا الكتاب . بعد ذلك . بمثابة دعوة إلى الاهتمام بالدراسات المقارنة في معاهدنا وجامعاتنا. وهي دراسات تعنى جامعات العالم الكبرى بها كل العناية؛ بل أن بعض الدول تهتم بتلقين الطلاب في مرحلة التعليم الثانوي الأسس العامة لعلم الأدب المقارن...ولهذا نعتقد أن جامعاتنا في حاجة ماسة إلى التوسع في علم الأدب المقارن لأهميته في الدراسات الأدبية الحديثة، ولضرورته للنقد الحديث، ثم للوقوف على جوانب أصالة أدبنا، وتوجيه حركة التجديد فيه وجهة رشيدة، وبخاصة في عصر نهضتنا الحاضرة التي فيها أخذ أدبنا يسايرُ الآداب العالمية في مختلف الأجناس الأدبية، ونواحي التصوير الفنية، والموضوعات الإنسانية"[3]

كما ويُطلعنا الغنيمي هلال على مسمى آخر للكتاب ذاكرا السبب بصورة دقيقة؛ إذ يقول:" وكتابنا هذا يجوز لنا أن نسميه (المدخل لدراسة الأدب المقارن) أو(الأدب المقارن ومناهج البحث فيه) لأنني لم أقصد فيه إلى دراسة مسألة خاصة من مسائل الأدب المقارن؛ بل أردت عرض موضوعه إجمالا"[4]

---

[1] ـ نفسه: ص 3 ـ 4
[2] ـ الأدب المقارن: ص 4
[3] ـ نفسه: ص 8
[4] ـ نفسه: ص 11